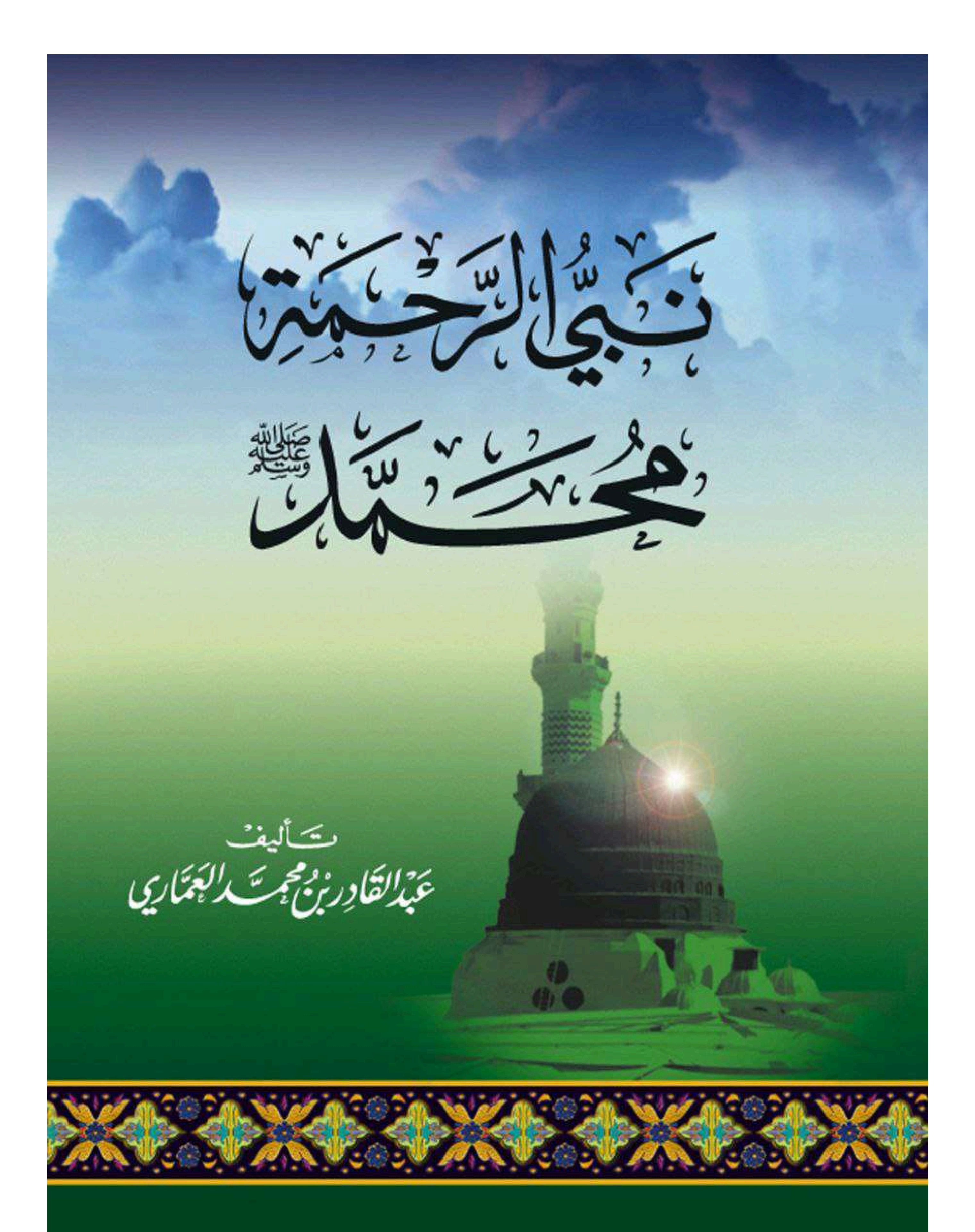
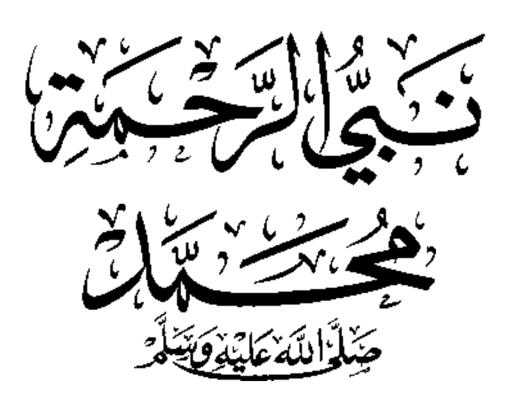


نبي الرحمة
محمد صلى الله عليه وسلم
تأليف
عبد القادر بن محمد العماري



تأليف

عبد القادر بن محمد العماري

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

إضاءات

قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران].

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُنْتَصِراً مِنْ مَظْلَمَةٍ ظُلِمَهَا قَطُّ مَا لَمْ يُنْتَهَكْ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَىٰ شَيْءٌ، فَإِذَا انْتُهِكَ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ شَيْءٌ كَانَ مِنْ أَشَدِّهِمْ فِي ذَلِكَ غَضَباً، وَمَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ مَأْثَماً[1].

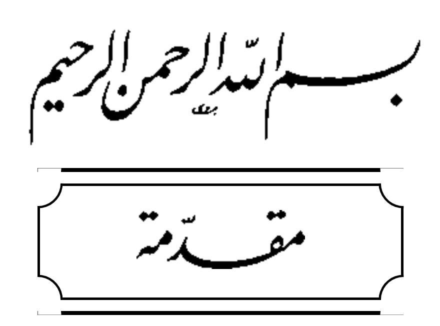
عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ﵁، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِيْ نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِيْ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِيْ أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[2].

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) «مسند أبي يعلىٰ» (٧/٤٣١) «الشمائل المحمدية» (ص٢٨٨)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص١٨٣).

(٢) «صحيح مسلم» (٤٠٣)، و«مسند أحمد» (٨١٨٨).



مقدّمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله تعالىٰ علىٰ حين فترة من الرسل وانقطاع من السبل، فهدىٰ به من الضلالة، وبصّر به من العمىٰ، وجمع به بعد الشتات والفرقة، فصلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه صلاةً وتسليماً دائمَين إلىٰ يوم الدين. **أما بعد**:

لقد أنعم الله تبارك وتعالىٰ علىٰ هٰذه الأمة ببعثة خاتم النبيين وسيد المرسلين؛ فهي خاتمة وخير الأمم، كما كان نبيها خاتم وخير الرسل صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

إن الأمم والشعوب تفخر بعظمائها ورموزها، وتبني بهم مجدها وعزها، وتبقيهم أساساً لبناء تاريخها وحضارتها، وإننا والله وبالله وتالله ما علمنا، ولا عرفنا، ولا سمعنا، ولا رأينا، رجلاً كان تاجاً للبشرية وحلة لبني جنسه وأمته، بل كان لها المجد والعطاء والتاريخ والحضارة، أعظم ولا أشرف ولا أجل وأكرم من نبينا محمد رسول الله ﷺ.

إن نبينا ﷺ هو أكرم البشرية علىٰ الله وأعظمهم جاهاً، صاحب الطود المنيف والمقام الشريف، إمام الأنبياء والمرسلين إذا وفدوا، وخطيبهم إذا اجتمعوا، زكاه الله سبحانه في عقله فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم]، وزكاه في لسانه فقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾

[النجم]، وزكاه في كلامه وقوله، فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم]، وزكاه في مُعلّمه وعِلْمه: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم]، وزكىٰ فؤاده فقال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم]، وزكىٰ بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم]، وزكىٰ خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم]، وزكىٰ نسبه فقال جل في علاه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء]، وزكاه كله فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

نبينا محمد ﷺ أرسله الله إلىٰ الناس كافة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً.

نبينا محمد ﷺ أخذ الله له العهد علىٰ جميع الأنبياء والمرسلين، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران] رفعةً لقدره، وعظمةً لشخصه بين الرّسل والأنبياء، وتعريفاً بحقّه، وتشريفاً لذاته بين البشرية جمعاء.

نبينا محمد ﷺ من يتطاول علىٰ شخصه ويطعن في رسالته، وينال من عرضه إنما هو زنيم يتطاول علىٰ قمة شمّاء، ودني يحاول جاهداً أن يطعن الجوزاء، ورقيع يغبّر علىٰ السماء، والجبل الشامخ الأشم لو ضرب بالزجاج ألف ضربة ما انكسر، والصبح إذا انفلق وتنفس لو ستر بكل شيء ما انستر، فمن قذف ببصاقه إلىٰ العلياء رجع بصاقه علىٰ وجهه، ومن أراد أن يوهن صخرة صماء بقرنه لم يضرها وإنما أوهىٰ قرنه، إنه رسول الله ﷺ تكفل الله بحمايته حيًّا، والدفاع والذب عنه ميّتاً، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر].

نبينا محمد ﷺ جعل الله لنا فيه قدوة، وفي أقواله وأفعاله وأخلاقه

وجميع سيرته أسوة فقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]. فلا حقّ إلا ما جاء به، ولا دين إلا ما شرعه الله علىٰ لسانه، والباطل كل الباطل ما حذر منه وتركه وأمر بتركه ومجانبته. وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، وقال ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١). فسنته ﷺ وهديه هو الميزان لكل فعلٍ وترك.

نادانا تبارك وتعالىٰ وأخبرنا في كتابه الكريم مذكّراً بأهمية تعظيم وتوقير وتعزير هٰذا النبي الكريم والرسول العظيم ﷺ فقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨]، فالمعظم والموقّر لرسول الله ﷺ في زمرة المفلحين، والمؤمن به المتّبع لهديه في عداد المهتدين. جعلنا الله من المهتدين المفلحين.

فلا حياة لقلوبنا، ولا زكاة لنفوسنا، ولا نور لأبصارنا، ولا صلاح لأحوالنا، ولا هداية لعقولنا، ولا استقامة لأعمالنا، ولا فلاح لنا في دنيانا وأخرانا إلا باتباع هدي هٰذا النبي الكريم والرسول العظيم ﷺ، ولأجل ذٰلك كله كانت هٰذه الورقات التي كتبت بين فترة وأخرىٰ بياناً لجوانب مضيئة من عظمته ﷺ، وتجلية لبعض من المواقف المشرقة في حياته، ودفاعاً عن جنابه وذوداً عن مقامه، ونصراً لسنته وهديه، جعلنا الله من أتباعه، وصلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

قطر / الدوحة: ٣٠ / ١١ / ١٤٣٣هـ
الموافق: ١٦ / ١٠ / ٢٠١٢م

عبد القادر بن محمد العماري

❊ ❊ ❊ ❊

(١) «صحيح مسلم» (٤٥٩٠).



الرِّسَالَةُ الخَاتِمَةُ

لقد كانت الإنسانية في حاجة ملحّة إلىٰ رسالة محمد عليه الصلاة والسلام عندما بعث لإنقاذها من الفوضىٰ والجهل والطغيان.

يقول أحمد شوقي:

أَتَيْتَ وَالنَّاسُ فَوْضَىٰ لَا تَمُرُّ بِهِمْ إِلَّا عَلَىٰ صَنَمٍ قَدْ هَامَ فِيْ صَنَمِ
فَعَاهِلُ الرُّومِ يَطْغَىٰ فِيْ رَعِيَّتِهِ وَعَاهِلُ الفُرْسِ مِنْ كِبْرٍ أَصَمُّ عَمِيْ

ولعلنا نحن المسلمين اليوم أشد الناس حاجة إلىٰ استلهام سيرته ﷺ: وإعادة صياغة حياتنا علىٰ منهجه، فنبعث سيرة محمد ﷺ من جديد في حياتنا بتطهير مجتمعاتنا من كل تراكمات الجهل والفساد والخرافة، حتىٰ نكون أهلاً لحمل رسالة الإسلام إلىٰ الإنسانية من جديد، نبعث ونطبق سيرته وأخلاقه في حياتنا. فالحب الذي يكنّه المسلمون للرسول عليه الصلاة والسلام يجب أن يترجم إلىٰ اتّباعٍ لمنهجه، واقتداءٍ بسنته، وتطبيقٍ عمليٍّ لرسالته، فتلك هي المحبة الحقيقيّةً لله والرسول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران].

لننظر إلىٰ المجتمعات الإسلامية اليوم، ماذا كان نصيبها من صفات وسلوك الرسول العظيم والنبيِّ الكريم عليه أزكىٰ الصّلاة وأتم التسليم، ومما يدعو إليه من الأمانة والصدق والإخلاص، سنجد أن هٰذه المجتمعات هي التي تفقد الأمانة والصدق والإخلاص أكثر من أيّ مجتمعات أخرىٰ.

إنّ الرسول ﷺ نشأ والأمانة أعظم صفاته حتىٰ كان يلقّب بالأمين بين قومه في الجاهلية، كانوا يودعونه أموالهم، وحكّموه في رفع الحجر الأسود عندما اختلفت القبائل علىٰ وضعه. وخديجة بنت خويلد رضي الله عنها لم تخطبه وتعهد إليه بإدارة تجارتها إلا لأمانته، فكان ﷺ تاجراً ناجحاً بالأمانة والصدق وحسن المعاملة، كما كان عاملاً مجدًّا لا يأنف من الكدح والعمل، فقد ثبت أنه رعىٰ الغنم في صدر حياته ﷺ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إلاَّ رَعَىٰ الْغَنَمَ**» فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَىٰ قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ**»(١)، وكانت نفسه دائماً تتوق إلىٰ الحق والعدل وترفض الظلم والبغي، ولذٰلك كان يستجيب لأيّ بادرة من شأنها أن ترفع أيّ ظلم واقع علىٰ أيِّ أحد، فقد أيّد حلف الفضول في الجاهلية، وهو الحلف الذي عقدته قبائل قريش في دار عبد الله بن جدعان، حين اجتمعوا وتحالفوا وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها، أو من غيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا علىٰ من ظلمه حتىٰ ترد مظلمته، وقد شهد رسول الله ﷺ هٰذا الحلف، وبعد أن بعث قال: «**شَهِدْتُ حِلْفاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي دَارِ ابْنِ جُدْعَانَ لَوْ دُعِيتُ إِلَيْهِ الْيَوْمَ لأَجَبْتُ، رَدُّ الْفُضُولِ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَأَلاَّ يُقِرَّ ظَالِمٌ مَظْلُوماً**»(٢)، ونرىٰ خديجة رضي الله عنها تقول له عندما رأته مهموماً مثقلاً بما أحسه من ثقل الوحي: «**فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَداً. فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ**»(٣).

(١) «صحيح البخاري» (٢٢٦٢).

(٢) «شرح مشكل الآثار» (٢٢١/١٥). وروىٰ البخاري في «الأدب المفرد»: عن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ، فَمَا أُحِبُّ أَنْ أَنْكُثَهُ، وَأَنَّ لِيْ حُمْرَ النَّعَمْ**»، قال الألباني: صحيح، انظر: «صحيح الأدب المفرد» (٢٢٣/١).

(٣) «صحيح البخاري» (٤٩٣٥)، و«صحيح مسلم» (٤٢٢).

إنّ حياة الرسول عليه الصّلاة والسّلام وسيرته يجب أن تكون نبراساً للمسلمين، ومشكاة للمؤمنين، والله سبحانه وتعالىٰ لم يرسله إلا ليكون قدوة يحتذىٰ به، ولذٰلك كان بشراً من البشر لا مَلَكاً من الملائكة. وقد كان رسول الله ﷺ أميًّا لا يقرأ ولا يكتب وذٰلك من أجل إثبات نبوّته، وقَطْع حجّة الّذين سيتهمونه بالتلقّي عن الكتب السابقة، ومع هٰذا فإنّ أول ما أنزل عليه من القرآن الدعوة إلىٰ العلم والمعرفة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق][1].

ومن اهتمام دعوته ﷺ بالعلم أنه في غزوة بدر قرّر بشأن الأسرىٰ أن من يعلّم منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة يعتبر ذٰلك فداؤه، ويطلق سراحه[2].

تعالوا ننظر الآن: إنّ أكبر نسبة للأميّة في العالم هي في المجتمعات الإسلامية، فكأن ديننا لم يدع إلىٰ العلم، وكأن المعلّم الأعظم رسولنا محمّداً ﷺ لم يحثنا علىٰ العلم، إنّنا نسيء إلىٰ الإسلام، ونسيء إلىٰ نبي الإسلام وسيّد الأنام عليه الصلاة والسلام إذا بقينا علىٰ حالتنا من الجهل والتخلّف. ألم تكن دعوة نبينا محمد عليه الصّلاة والسّلام غايتها إخراج الناس من الظلمات إلىٰ النور؟ فما بالنا نحن أتباع محمد ﷺ اليوم نعيش في ظلام الجهل والخرافة، وننزل في دركات التخلف والرجْعيَّة؟ إن النور الذي بعث به نبينا محمد ﷺ لنستنير به في الحياة الدنيا هو الذي يضيء لنا طريق الآخرة: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء]، وقال سبحانه وتعالىٰ مبيّناً أنّ سعادة الدنيا مقرونة بسعادة الآخرة؛ وذٰلك كله منوط باتباع النور الذي بعث به نبينا محمد ﷺ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ

(١) «صحيح البخاري» (٦٩٨٢)، و«صحيح مسلم» (٤٢٢).
(٢) «الروض الأنف» (١٣٢/٣).

رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه].

لقد قامت دعوة الإسلام علىٰ التوحيد، وكل شيء في الأرض أو في السماء يخضع للواحد الأحد، وملك له، وليس هناك شفعاء ولا وسطاء ولا شركاء، وما في الكون كله مسخّر لابن آدم، لينتفع به لا ليعبده، والخالق هو المعبود الحق سبحانه وتعالىٰ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات].

دعوة علم وخير وحضارة:

إنّ العرب كانوا يعبدون الأحجار، فجاءت رسالة الإسلام فرفعت الغشاوة عن بصائرهم فأصبحوا يرون الأمور علىٰ حقيقتها، وخرجوا فعلاً من الظلمات إلىٰ النور، فكان لهم شأن في التاريخ، نشروا رسالة الإسلام، وأسّسوا الحضارات، وما قامت حضارة الغرب إلا علىٰ أساس من حضارتهم، فكانت حضارتهم هي النواة لما نشاهده اليوم من تقدم في الغرب، فلا أحد ينكر فضل العباقرة المسلمين الذين كانت أبحاثهم من أسس العلوم الحديثة. قال جوستاف لوبون: «ظلّت ترجمات كتب العرب؛ ولاسيّما الكتب العلمية، المصدر الوحيد تقريباً للتدريس في جامعات أوربا خمسة قرون أو ستة قرون، ويمكننا أن نقول إن تأثير العرب في بعض العلوم كعلم الطب مثلاً دام إلىٰ أيامنا هٰذه».

لقد دعا نبينا محمد ﷺ الناس إلىٰ كل أعمال البر والخير، ونهاهم عن كل الشّرور والآثام كما أمره الله سبحانه في الكتاب العزيز، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ

أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

إنّ الذي يتأمل هٰذه الآيات وما اشتملت عليه من وصايا، يجد أنها تكاد تكون تلخيصاً للعقيدة الإسلامية بأجمعها؛ ابتداء من التوحيد وروابط الأسرة، وطهارة المجتمع وعفّته، ومنع القتل وحماية الضعيف؛ إلىٰ العلاقات التجارية والمطالبة بالعدل والوفاء بالعهود، فكل ذٰلك صراط واحد، وطريق واحد هو صراط الله المستقيم، وطريقه القويم، وما سوىٰ ذٰلك سبل متفرقة لا توصل إلا إلىٰ المهالك.

لقد أحدث رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام تغييراً في المجتمع وفي نفسيات الناس وأخلاقهم، حتىٰ جعلهم خير أمة أخرجت للناس تأخذ زمام المبادرة في الإصلاح والتغيير، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وقد عانىٰ الرسول العظيم ﷺ ما عانىٰ في سبيل ذٰلك من صنوف الأذىٰ والعذاب، فقاطعه قومه وآذوه، وأغروا به السفهاء والغوغاء، واضطهدوا أصحابه من المستضعفين وأذاقوهم ألوان العذاب، فاستباحوا حرماتهم وأموالهم وأراضيهم، واتهمه أعداؤه بالجنون تارة، وبالسّحر والكهانة تارة أخرىٰ، وعلىٰ الرغم من كل ذٰلك فهو يقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**»(١).

هناك أناس ضالون ومجرمون يسخرون من الحق، ومن الرجال الذين يحملون دعوة الحق، لا يهمّهم في الدنيا شيء غير الهزل، والتفكّه والبطر والسّرف، وكم أوذي ﷺ، ولا يزال هٰؤلاء المجرمون الضالون المستهزئون ينالون من المقام الشريف والجناب المنيف عليه الصلاة والسلام، وينالون

(١) «صحيح البخاري» (٣٤٧٧)، و«صحيح مسلم» (٤٧٤٧).

ممن آمن به واتّبع منهجه ﷺ واهتدىٰ بهديه واستنّ بسنّته، ونقول لهٰؤلاء ما قال الله في كتابه مسليًّا أولياءه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين].

صمود وتصميم:

إننا نجلّ رجالاً لم يبالوا بما وقع علىٰ أجسادهم ونفسيّاتهم من صنوف العذاب في سبيل دعوة الحق، ونترضىٰ عنهم لما قاسوه من أجلنا نحن لتصلنا دعوة الإسلام، لنذكر من هٰؤلاء ياسر وزوجه سميّة رضي الله عنهما؛ اللذين ماتا تحت وطأة العذاب بسبب قسوة المجرمين، ونذكر ابنهما عماراً رضي الله عنه الذي أكره علىٰ الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ونذكر بلالاً رضي الله عنه الذي وضعه المجرمون في الرمضاء تحت أشعة الشمس المحرقة، وهو يتقلب من الألم ويهتف باسم ربه مصرًّا علىٰ إيمانه بالحق ورفضه للباطل قائلاً: أَحَدٌ أَحَدٌ، ونذكر خَبَّابَ بنَ الأَرَتِّ رضي الله عنه الَّذِي ضَاقَ ذَرعاً بِما يُصَبُّ عَليه وَعلَىٰ إِخْوانِهِ مِنَ العَذابِ، فَيهرَعُ إِلَىٰ الرَّسولِ الكَريمِ وَالقَلبِ الرَّحيمِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ فَيَقُولُ ﷺ مُرَبِّياً ومُصَبِّراً: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ؛ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذٰلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذٰلِكَ عَنْ دِينِهِ. وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هٰذَا الْأَمْرَ حَتَّىٰ يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ، أَوْ الذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ، وَلٰكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»(١).

(١) «صحيح البخاري» (٣٦١٢)، و«مسند أحمد» (٢١١١٠).

ترىٰ ماذا يملك رسول الله ﷺ أن يفعل وهو نفسه مضطّهد، وحورب من أقرب الناس إليه، وأساطين قريش يرون في دعوته تهديداً لسلطانهم؟ ماذا يستطيع أن يفعل وهو عندما ذهب إلىٰ قرية قريبة من مكة وهي الطائف لعله يجد متنفساً، أو يظفر بمن يستجيب لدعوته فيها؟ رمي بالحجارة حتىٰ سالت منه الدماء، وشُجَّ رأس صاحبه زيد بن حارثة رضي الله عنه وهو يدفع عنه ﷺ الحجارة، وفي طريق العودة أوىٰ ﷺ وصاحبه رضي الله عنه إلىٰ ظلِّ شجرة، وهو مُثْخَنٌ بالجراح يَتَوجَّهُ إلىٰ ربه مُتَضَرّعاً، قَائِلاً: «**اللَّهُمَّ إلَيْكَ أشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوانِي علىٰ النَّاسِ، يا أرْحَمَ الرَّاحِمِينَ! إلىٰ مَنْ تَكِلُني، إلىٰ عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي، أمْ إلىٰ قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أمْرِي، إنْ لَمْ تَكُنْ ساخِطاً عَلَيَّ فلا أُبالِي؛ غَيْرَ أنَّ عافِيَتَكَ أوْسَعُ لِي، أعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الكَرِيمِ الَّذِي أضاءَتْ لَهُ السَّماواتُ والأرْضُ، وأشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُماتُ، وصَلَحَ عليهِ أمْرُ الدُّنْيا والآخِرَةِ؛ أنْ تُحِلَّ عَليَّ غَضَبَكَ، أوْ تُنْزِلَ عَلَيَّ سَخَطَكَ، وَلَكَ العُتْبىٰ حَتَّىٰ تَرْضىٰ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بِكَ**»[١].

إن هدم الوثنية يتطلب تضحيات وعزائم قويّة لا تتزعزع، وعندما رأت قريش الصمود والتصميم من جانب صاحب الدعوة ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، ولم يزحزحهم عن معتقدهم كل صنوف العذاب والأذىٰ، لجأوا إلىٰ أسلوب الإغراء بالمال والجاه والسلطان والملك لصاحب الدعوة، فقالوا له: «إن كنت إنما تريد بما جئت به من هٰذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتىٰ تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتىٰ لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملّكناك علينا، وإن كان هٰذا الذي يأتيك رِئْياً تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك، طلبنا لك الطبّ، وبذلنا فيه أموالنا حتىٰ نبرئك منه، فإنه ربما غلب التّابع علىٰ

---

(١) «ذخيرة الحفاظ» للمقدسي (٤٥٢٦)، و«مجمع الزوائد» (٩٨٥١)، قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١١٨٢).

الرجل حتىٰ يداوىٰ منه»[1] فرفض كل ذٰلك لأنه لا يسعىٰ إلىٰ شيء مما ظنّوه هدفاً له، بل هو رسول مكلف بإخراج الناس من الظلمات إلىٰ النور، إنه هدف سام لا يقابل بزخرف الدنيا، ولا يساوم عليه بأيّ حال من الأحوال، وعندما وجدوا أن كل أساليب الترغيب والترهيب لم تثنِ النبيَّ ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم عن هدفهم، ضاعفوا الأذىٰ والعذاب ضدّهم، وهنا نصح رسول الله ﷺ بعض أصحابه بالهجرة إلىٰ الحبشة، فهاجروا خفية، ثم عادوا بعد أن سمعوا أن المشركين هادنوا الإسلام، وأن وطأة العذاب قد خفت عن المسلمين، ولٰكن تبين أن ذٰلك مجرّد إشاعة، وأن الواقع هو عكس ما بلغهم، فرجعوا إلىٰ الهجرة إلىٰ الحبشة مرة أخرىٰ. وكان الفوج الثاني أكثر من الفوج الأول إذ بينما كان الفوج الأول ستة عشر شخصاً، كان الفوج الثاني ثلاثة وثمانين رجلاً وتسع عشرة امرأة، فأكرمهم النجاشي عندما وصلوا إليه وحماهم[2]، وعندما سمعت بذٰلك قريش أرسلت وفداً مكوّناً من عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة قبل أن يسلما، وحمل الوفد معه إلىٰ النجاشي هدايا كثيرة، وكانت مهمة الوفد أن يطلب من النجاشي تسليم هٰؤلاء الذين لجأوا إليه من المسلمين، وعندما قابل الوفد النّجاشي وقدم إليه الطلب، أشار عليه بعض مستشاريه أن يستجيب لطلب الوفد، ولٰكن النّجاشي استدعىٰ هٰؤلاء اللاجئين بأرضه، الطالبين جواره، وسألهم قائلاً: مَا هٰذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَمِ؟ فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْماً أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ،

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (١٣١/٢).

(٢) «مختصر السيرة» لمحمد بن عبد الوهاب (ص٨٣ ـ ٨٥).

وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ، ـ فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ ـ فَصَدَّقْنَاهُ، وَآمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا، فَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَىٰ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، وَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا؛ خَرَجْنَا إِلَىٰ بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَىٰ مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ. فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ. فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْراً مِنْ ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾، فَبَكَىٰ وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّىٰ أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّىٰ أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللَّهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَداً، وَلَا أَكَادُ. فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللَّهِ لَآتِيَنَّهُ غَداً أَعِيبُهُمْ عِنْدَهُ، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ـ وَكَانَ أَتْقَىٰ الرَّجُلَيْنِ ـ: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَاماً وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا. قَالَ: وَاللَّهِ! لَأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبْدٌ. ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ! إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلاً عَظِيماً، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَسَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، وَلَمْ يَنْزِلْ بِهِمْ مِثْلُهَا، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ كَائِناً فِي ذَٰلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ،

هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ. فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ عَلَىٰ الأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُوداً، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هٰذَا الْعُودَ. فَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ، وَاللَّهِ اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي. - وَالسُّيُومُ: الآمِنُونَ - مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرَ ذَهَبٍ وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلاً مِنْكُمْ، - وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ - رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا. فَوَاللَّهِ! مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ فِيَّ النَّاسَ أُطِيعُهُمْ فِيهِ. فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ، مَرْدُوداً عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ، وَأَقَامَ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ»[1]. لقد رجع الوفد إلىٰ مكة بخفيّ حنين، خائباً خاسراً، ذليلاً مُهاناً.

وفي الوقت الذي تشتد فيه عداوة أهل مكة للدين الجديد وأتباعه، ونجحت دعاياتهم الكاذبة في منع قبائل كثيرة من دخول الإسلام، كانت الوفود التي تأتي من المدينة تقتنع بدعوة الإسلام، ويعودون إلىٰ بلادهم وقد تأثروا بالدعوة وآمنوا بها. ومن أسباب إقبال أهل المدينة علىٰ الإسلام وتصديقهم بالنبي عليه الصلاة والسلام عندما يأتون لموسم الحج: أن أهل المدينة كانوا مختلطين باليهود، وكان اليهود ينقلون إليهم ما في كتبهم القديمة من وعد بقرب ظهور رسول من العرب، ولٰكن اليهود عندما ظهر الرسول الموعود به في كتبهم لم يؤمنوا به، وآمن به العرب، وبإشاعة أمر الإسلام بالمدينة، وتزايد أنصاره فيها فكّر الرسول العظيم والقائد الحكيم ﷺ بعد اشتداد الأذىٰ والعداء عليه وعلىٰ أصحابه رضوان الله عليهم أن يهاجر إليها مع أصحابه الكرام ﷺ، خاصة وقد بايعته وفود الأنصار علىٰ النصرة مرتين، فقد عقدوا معه البيعة الأولىٰ المسمّاة ببيعة

(١) «مسند أحمد» (٢٢٥٥١) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إسحاق. وصححه الألباني في «فقه السيرة» للغزالي (ص١١٥).

العقبة الأولىٰ، وأرسل معهم أحد أصحابه وهو مصعب بن عمير ﵁ ليعلمهم الدين الجديد. ثم جاءت البيعة الثانية المسمّاة ببيعة العقبة الكبرىٰ، واعدهم الرسول ﷺ في شعب العقبة وحضر منهم سبعون رجلاً، بايعوه علىٰ السمع والطاعة في المنشط والمكره، والنفقة في العسر واليسر، وعلىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يقوموا لله ولا يخافوا لومة لائم، وعلىٰ أن ينصروه إذا قدم إليهم؛ فيمنعوا عنه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم(١).

أنصار الحق:

ولقد تحمّل الأنصار في هٰذه البيعة عبء الدفاع عن الرسول ﷺ ودعوته، وأعطوا في ذٰلك المواثيق وهم يعلمون ثقل هٰذا العبء عليهم، وما يتعرّضون له من مِحنٍ ومصاعب، وقد تحمّلوا المسؤولية وهم يتوقّعون كل الأخطار، ونجد في حديث أسعد بن زرارة في اجتماع البيعة ما يوضح لنا ذٰلك، تحدث أسعد بن زرارة وهو أصغر القوم فقال: «رُوَيْداً يَا أَهْلَ يَثْرِبَ! إِنَّا لَمْ نَضْرِبْ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْمَطِيِّ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، إِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعَضَّكُمْ السُّيُوفُ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَىٰ السُّيُوفِ إِذَا مَسَّتْكُمْ وَعَلَىٰ قَتْلِ خِيَارِكُمْ وَعَلَىٰ مُفَارَقَةِ الْعَرَبِ كَافَّةً فَخُذُوهُ وَأَجْرُكُمْ عَلَىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خِيفَةً فَذَرُوهُ فَهُوَ أَعْذَرُ عِنْدَ اللَّهِ. قَالُوا: يَا أَسْعَدُ بْنَ زُرَارَةَ! أَمِطْ عَنَّا يَدَكَ، فَوَاللَّهِ! لَا نَذَرُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ وَلَا نَسْتَقِيلُهَا. فَقُمْنَا إِلَيْهِ رَجُلاً رَجُلاً يَأْخُذُ عَلَيْنَا بِشُرْطَةِ الْعَبَّاسِ وَيُعْطِينَا عَلَىٰ ذَلِكَ الْجَنَّةَ»(٢).

---

(١) «مختصر السيرة» لمحمد بن عبد الوهاب (ص١١٥ ـ ١٢٢).

(٢) «مسند أحمد» (١٤٦٥٣) قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهٰذا إسناد حسن، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٣/١).

وعندما أحسّت قريش بهٰذا الدّعم الذي وجده الرسول ﷺ من أهل المدينة صَاحَ صَائِحُهُمْ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَبْعَدِ صَوْتٍ يُسْمَعُ: يَا أَهْلَ الْجُبَاجِبِ! ـ وَالْجُبَاجِبُ: الْمَنَازِلُ ـ هَلْ لَكُمْ فِي مُذَمَّمٍ وَالصُّبَاةُ مَعَهُ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَىٰ حَرْبِكُمْ؟ فَلَمَّا أَصْبَحُوْا غَدَتْ عَلَىٰ الأَنْصَارِ جُلَّةُ قُرَيْشٍ حَتَّىٰ جَاؤُوهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ فَقَالُوْا لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ! إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إِلَىٰ صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا وَتُبَايِعُونَهُ عَلَىٰ حَرْبِنَا، وَاللَّهِ! إِنَّهُ مَا مِنْ الْعَرَبِ أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَيْنَا أَنْ تَنْشَبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مِنْكُمْ. فَلَم يَرُدَّ الأَنْصَارُ الَّذِينَ بَايعُوا النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ قُرِيشٍ وَإِنَّمَا انْبَعَثَ مَنْ هُنَالِكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِمْ يَحْلِفُونَ لَهُمْ بِاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ هٰذَا شَيْءٌ، وَمَا عَلِمْنَاهُ، وَقَدْ صَدَقُوا، لَمْ يَعْلَمُوا مَا كَانَ مِنْهُمْ، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَنْظُرُ إِلَىٰ بَعْضٍ، وكان العبّاس بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ قَدْ قَالَ لِلرَّسُولِ ﷺ قَبْلَ ذٰلِكَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! لَئِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَىٰ أَهْلِ مِنًىٰ غداً بِأَسْيَافِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَمْ أُومَرْ بِذَلِكَ**»[1]، وأمرهم ﷺ بالهدوء والرجوع إلىٰ منازلهم، فعادوا إلىٰ المدينة في انتظار قدومه ﷺ وأصحابه إليهم. وكخطوة أولىٰ أمر الرسول ﷺ أتباعه الذين اشتد عليهم الضغط والأذىٰ أن يتركوا مكة، ويذهبوا إلىٰ المدينة، فكانوا يخرجون خفية واحداً تلو الآخر. ولما شعرت قريش بخطورة هٰذه المرحلة من الدعوة الإسلامية، وأحسّت أن هٰذا الخروج لأتباع محمد ﷺ من مكة له ما بعده، اجتمعوا في دار الندوة، ودار النقاش بينهم حول السبيل لمواجهة هٰذا الموقف، فاستعرضوا عدة اقتراحات، منها: نفيه ﷺ، ومنها: حبسه مقيّداً بالسلاسل، ومنها: قتله. وأخيراً استقر رأيهم علىٰ اقتراح أبي جهل بأن يؤخذ من كل قبيلة شاب ويعطىٰ سيفاً صارماً ويضربون محمداً ﷺ ضربةً واحدة، فيتفرّق دمه علىٰ القبائل، فلا يستطيع بنو هاشم أن يطالبوا بدمه، فيرضون بالدية، وقد

(١) «مسند أحمد» (١٥٨٣٦) قال شعيب الأرنؤوط: حديث قوي، وهٰذا إسناد حسن. والطبراني في «الكبير» (١٧٤).

أشار الله سبحانه في كتابه العظيم القرآن الكريم إلىٰ هٰذه المحاولات التي قامت بها قريش للتخلص من القائد العظيم والرسول الرحيم والنبي الكريم ﷺ، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال].

فعلم الرسول ﷺ بهٰذه المؤامرات الخسيسة لاغتياله من أجل القضاء علىٰ دعوته، الدعوة التي جعلها الله رحمة للعالمين، وما بعث ﷺ إلا رحمة، الدعوة التي بها استنارت البشرية بعد ظلام، واهتدت بعد ضلال. لقد كان ﷺ يفكّر ويخطّط للهجرة بعد خروج أصحابه ﷺ إلا أنه كان ينتظر أمر ربه وإذنه له، وجاء الأمر بالهجرة، وحصل الإذن بعد طول صبر واصطبار؛ انقياداً وامتثالاً، طاعة وتعبّداً. أمره ربّه سبحانه بالهجرة، فاتفق مع عبد الله بن أريقط علىٰ أن يستأجره ليكون دليلاً له في الطريق، لأنه خبير بالصحراء وطرقها، وهو من المشركين، ولٰكنّ الرسول عليه الصلاة والسلام اطمئنّ إليه ووثق به، فواعده أن يأتيه بعد ثلاث ليال إلىٰ غار ثور، وذهب إلىٰ صاحبه الوفي وتابعه المخلص أبي بكر الصديق ﷺ وأخبره بعزمه علىٰ الهجرة. وهنا نترك أُمّنا أمّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر ﷺ وعن أبيها تحدثنا عن هٰذا الحدث العظيم، قالت الصديقة بنت الصديق ﷺ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْماً جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هٰذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنِّعاً، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي! وَاللَّهِ! مَا جَاءَ بِهِ فِي هٰذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ. قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: **أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ.** فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: **فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ.** فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصُّحَبَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **نَعَمْ.** قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَىٰ رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **بِالثَّمَنِ.** قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَىٰ فَمِ

الْجِرَابِ، فَبِذٰلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ[1].

لقد كان الرسول الحكيم والقائد العظيم ﷺ قد استبقىٰ عليًّا وأبا بكر ﭭ، فأما علي ﭬ فقد عهد إليه أن يتخلّف بعد خروجه من مكة حتىٰ يودع عنده الودائع التي كانت عنده للناس فيؤديها، فرسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشىٰ عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته، وأما أبو بكر ﭬ فاستبقاه ليكون رفيقاً له وصاحباً في السفر.

وبعد أن اتّفق الرسول عليه الصّلاة والسّلام مع أبي بكر ﭬ علىٰ تفاصيل الخروج عاد إلىٰ بيته، وأوعز إلىٰ عليٍّ ﭬ أن يرتدي برده الذي ينام فيه، وأن ينام علىٰ سريره، وفي هجعة من الليل وغفلة من أولٰئك الذين تجمّعوا لتنفيذ خطة اغتياله ﷺ، تسلّل إلىٰ بيت أبي بكر ﭬ، ثم خرج مع أبي بكر من خوخة في ظهر الدار إلىٰ غار ثور، وكان أبوبكر ﭬ قد أمر ابنه عبد الله أن يتسمّع ما يقوله الناس فيهما، ويأتي لهما بالخبر ليلاً، وأمر أسماء ابنته أن تأتيهما بالطعام، وأمر مولاه عامر بن فهيرة أن يرعىٰ الغنم، ويأتي يريحها عليهما إذا أمسىٰ في الغار، فاحتلبا منها وذبحا، فشربا وأكلا. فإذا غدا عبد الله من عندهما إلىٰ مكة، وأسماء كذٰلك، اتّبع عامر بن فهيرة أثرهما بالغنم، يعفي عليه زيادة في الحيطة والحذر[2].

وقد ذهلت قريش بعد أن عرفت أن رسول الله ﷺ وصاحبه أبا بكر ﭬ قد تمكّنا من الخروج، وانطلقوا في أثرهما يرصدون الطرق، ويفتّشون الشعاب والوديان والكهوف، حتىٰ وصلوا قريباً من الغار الذي يختفيان فيه، فكان أبو بكر ﭬ وهو ينظر إليهم يقول للرسول ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ لرَآنَا. فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ مُطَمْئِناً لَهُ:

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٩٠٥)، و«مسند أحمد» (٢٥٦٦٧).

(٢) «جوامع السيرة» لابن حزم (ص٩١)، و«السيرة الحلبية» (٢٠٣/٢).

«مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»[1]، والله سبحانه في القرآن الكريم أشار إلىٰ هٰذا المشهد العظيم، والشرف والمنزل الكريم الذي ناله أبو بكر رضي الله عنه وحظي به بأن سطّرت في الكتاب العزيز صحبته ومرافقته للحبيب محمد ﷺ، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

مرت ثلاث ليال، والرسول ﷺ يبيت في الغار ومعه صاحبه أبو بكر رضي الله عنه، وجاء عبد الله بن أريقط علىٰ الموعد، ومعه الرواحل وتزوّد، ثم واصلوا رحلتهم، فساء ذٰلك قريشاً، وطار صوابها أن أفلت منها الرسول ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، فجعلوا دية كل منهما جائزة لمن يجيء بهما حيَّين أو ميَّتين، ولا شك أنها جائزة مغرية مئتان من الإبل، ثروة ضخمة تستدعي ركوب الأخطار في سبيلها، فجدَّ الراغبون في الفوز بالجائزة في الطلب، ولٰكن الركب لم يمر بالطريق المعتاد؛ بل سلك دروباً لا تعتادها القوافل، وساعد علىٰ ذٰلك مهارة الدليل عبد الله بن أريقط.

وهٰذا سراقة بن مالك رضي الله عنه أحد الذين طمعوا في تلك الجائزة يوم كان مشركاً يقول حاكياً سعيه وتشميره للحصول عليها: جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّىٰ قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ: يَا سُرَاقَةُ! إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفاً أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ أُرَاهَا مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلٰكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَاناً وَفُلَاناً انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٦٦٣)، و«صحيح مسلم» (٦٣١٩).

لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ، فَدَخَلْتُ، فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الْأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ حَتَّىٰ أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي حَتَّىٰ دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ، فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَىٰ كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا؟ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ تُقَرِّبُ بِي حَتَّىٰ إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ، فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّىٰ جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي، وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ: «**أَخْفِ عَنَّا**» فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ(١).

ووصل الرسول الرحيم والداعية العظيم ﷺ وصاحبه الصديق رضي الله عنه المدينة بعد رحلة عصيبة محفوفة بالمخاطر. في «صحيح البخاري» عن البراء بن عازب قال: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَجَعَلَا يُقْرِئَانِنَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ وَبِلَالٌ وَسَعْدٌ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ، حَتَّىٰ رَأَيْتُ الْوَلَائِدَ وَالصِّبْيَانَ يَقُولُونَ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ جَاءَ(٢).

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٩٠٥)، و«صحيح مسلم» (٧٧٠٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٤٩٤١)، و«مسند أحمد» (١٨٥٣٥).

نقطة تحول تاريخي:

فكانت الهجرة من مكة إلىٰ المدينة نقطة التحوّل والتغيّر في تاريخ الدعوة الإسلامية، وأسّست في المدينة دولة الإسلام، ودخل المسلمون في صراع مع اليهود الذين بدؤوا يكيدون للدعوة، ويعملون علىٰ تفريق كلمة المسلمين، ويحاولون إثارة الخلافات القبلية بينهم، ثم تفاوضوا مع أهل مكة للتآمر علىٰ الرسول العظيم ﷺ وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم، وحرّضوهم علىٰ غزو المدينة للقضاء علىٰ الدولة الإسلامية الناشئة، وظهر المنافقون بزعامة عبد الله بن أبي بن سلول الذي كان يحلم بالملك، فجاء الإسلام وقضىٰ علىٰ أحلامه، وحال بينه وبين ما كان يزمع أهل المدينة من تتويجه ملكاً عليهم، فاستمرّت المناوشات بين مكة والمدينة، وقامت معارك بين المسلمين والمشركين، ولم يجد الرسول ﷺ بدًّا من وضع حدٍّ لمؤامرات اليهود، ومحاولاتهم للقضاء علىٰ الدعوة الإسلامية، وإثارة الفتن والقلاقل في أرض الجزيرة، وقامت بينه ﷺ وبينهم حروب حتىٰ تمكّن من إجلائهم عن المدينة، وصادر ممتلكاتهم الثابتة من نخيل وحصون، فاستقرّت دولة الإسلام بعد إجلاء اليهود عن المدينة، وانتصاره علىٰ المشركين، واطمأنّ المسلمون إلىٰ أن الصراع بينهم وبين الوثنية قد انتهىٰ وحسم لصالح الإسلام، وخاصّة بعد فتح مكّة والطّائف، ودخول الناس في دين الله أفواجاً.

غير أن هناك دولتين كبيرتين مجاورتين للجزيرة العربية وهما: دولة الفرس ودولة الروم تهددان دولة الإسلام التي قامت في جزيرة العرب، تلك الجزيرة التي لم يعهد أن تكون فيها دولة، وكان الفرس والروم مطمئنين إلىٰ أن تفرّق العرب إلىٰ قبائل وانقسامهم علىٰ أنفسهم يبقيهم دائماً تحت سيطرتهم ونفوذهم، غير أن الأمر تغيّر الآن بعد قيام دولة الإسلام في الجزيرة العربية فلا بد أن تفكر الدولتان في القضاء علىٰ هٰذه الدولة خاصة وأن الفرس يحتلون أجزاء من جنوب الجزيرة، والرومان يحتلون

أجزاء من شمالها. وعندما أرسل الرسول ﷺ رسائل إلىٰ ملوك وأمراء الدول والولايات يبيّن لهم أنه رسول الله ﷺ، ويدعوهم إلىٰ الإسلام، تفاوتت ردود الفعل بين العنف واللطف، فأما ملك فارس فقد مزقّ الكتاب الذي أرسله رسول الله ﷺ إليه، وأصدر أمره إلىٰ واليه باليمن ليحضر إليه هٰذا الرسول الذي تجرّأ بالكتابة إليه، وبعث الوالي رجلين إلىٰ المدينة ليطلبا من الرسول العظيم المهاب ﷺ الحضور إليه، ولٰكن الرسول عليه الصلاة والسلام طلب من الرجلين عندما حضرا إليه أن يعودا إلىٰ الوالي بخبر موت ملكه الذي بفارس، وما كان من الوالي وأتباعه في اليمن إلا أن أسلموا وانتشر الإسلام في اليمن، ثم زالت دولة فارس كلها علىٰ يد خلفاء الرسول ﷺ، ودخل شعب اليمن في دين الإسلام، بل كانوا جنداً مناصراً للإسلام.

وأمّا الرّوم، فقد كان ردّ ملوكهم ليّناً، ولٰكنّ الأمراء العرب المفوّضين عنهم في ولاياتهم كالحارث بن شمّر كان ردّهم عنيفاً وقاسياً، بل قام أحدهم وهو شرحبيل بن عمرو الغسّاني باعتراض الحارث بن عمير الأزدي الذي كان يحمل كتاب رسول الله ﷺ إلىٰ أمير بصرىٰ، ولمّا علم أنه مبعوث من قبل رسول الله ﷺ قتله، فحزّ ذٰلك في نفوس المسلمين، وكانت هٰذه الحادثة سبب غزوة مؤتة[1]، وهي أول صدام مع الرّوم وعملائهم من نصارىٰ العرب، وقتل فيها ثلاثة من قادة جيش المسلمين وهم: زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة وجعفر بن أبي طالب ﷺ، وتولّىٰ القيادة بعدهم خالد بن الوليد، الّذي كان جنديًّا في ذٰلك الجيش، وأعقبتها بعد ذٰلك صراعات ومعارك حتىٰ كانت الفتوحات الإسلامية المشهورة والمعروفة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام الذي لحق بالرفيق الأعلىٰ وهو يجهّز جيشاً لغزوهم، وجعل قيادته لأسامة بن زيد رضي الله عنه وعن أبيه الذي قتل في غزوة مؤته.

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٥/٢ ـ ١٩).

العلاقة بين المسلمين وغيرهم:

والذي يستوقفنا هنا هو العلاقة بين المسلمين وغيرهم. ما طبيعة هٰذه العلاقة؟ يتصور بعض الناس أن العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين هي الحرب الدائمة، وأن الإسلام يفرض علىٰ الناس الدخول فيه بالإكراه، وهٰؤلاء الذين يتصورون ذٰلك استندوا إلىٰ نظر قاصر فاسد. والواقع أننا إذا تأملنا سيرة الرسول ﷺ وآيات القرآن الكريم نجد أن هٰذا التصور خاطئ، وفي غير محله، فالنبيّ ﷺ وهو الذي بعث رحمة ورسول هداية، بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، لم يطلب من أحد أن يدخل في دينه بالإكراه، بل كان ﷺ يتعامل مع الكفار غير المحاربين معاملة تختلف عن الكافر المحارب. بل ربما وجدنا المصطفىٰ ﷺ يستعين بمشرك في أحلك الظروف وأخطرها، فنجده مثلاً استعان بعبد الله بن أريقط وهو الرجل المشرك الذي يعبد غير الله، استعان به ليكون دليلاً في رحلته من مكة إلىٰ المدينة، والعداء بينه ﷺ وبين المشركين علىٰ أشدّه، ورهن ﷺ درعه عند يهوديّ، وكان يزور جاره اليهودي عندما يمرض لكي يدعوه إلىٰ هٰذا الدين الذي بعث به ﷺ فينقذه الله به من النار رحمة قلب وشفقة نفس ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والدعوة للإسلام تكون ابتداء بالمعاملة الحسنة والقدوة الحسنة في السلوك والتعامل، وأما استعمال السيف فله أوقات، وهٰذا الأمر واضح في القرآن، فهناك أكثر من نصٍّ صريح في هٰذا الموضوع، من ذٰلك قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل]، والله سبحانه أيضاً

لم ينهنا عن الإحسان إلىٰ الكفرة الذين لم يقاتلونا في الدّين، ولم يقفوا في صف من عادانا وحاربنا، إنما نهانا عن الإحسان إلىٰ المحاربين ومن في حكمهم، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة]، ونهانا سبحانه عن مودة وتولي من حادّ الله ورسوله، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة]، ويقول جلّ في علاه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

فهل آن لنا أن نعود إلىٰ ديننا وإلىٰ السيرة العطرة لنبينا ﷺ، فنطيّب بها حياتنا ونزكّي بها نفوسنا ونطهّر قلوبنا؟

إلىٰ الرفيق الأعلىٰ:

بعد أن أكمل الله الدين وأتمّ علىٰ نبيّه ورسوله النعمة، ورضي لأمته ﷺ الإسلام ديناً، ها هو ذا ﷺ في حجّته الوحيدة الفريدة، حجة الإسلام، الحجة التي أطلق عليها حجة الوداع، ها هو ذا ﷺ يشهد الأمة

علىٰ أنه بلّغ رسالة ربّه أتمّ بلاغ، وآن للأمة أن تتحمّل أعباء إكمال المشوار في نشر الرسالة النبوية وعلىٰ نهج الدعوة المحمديّة، يشهدهم ﷺ ويوصيهم بعد بلاء طويل، وامتحان عظيم في طريق الدعوة والسيرة العطرة، إنه يوجههم إلىٰ ما ينفعهم وينصحهم بما يصلحهم، ويعظهم بما يزكيهم، يرشدهم إرشاد المعلم لطلابه، ويربيهم تربية الوالد الصالح لأبنائه، ويدلهم علىٰ الطريق القويم دلالة المجرّب الخبير ﷺ، يقول أَبُوْ بَكْرَةَ ﷺ وَاصِفاً هَذَا الْمَوقِفَ العَظِيْمَ الّذِيْ اسْتَنْصَتَ فِيْهِ ﷺ الْجَمَاهِيْرَ المَائِجَةَ وَالمَجَامِيْعَ الهَائِجَةَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: «**أَلاَ تَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «**أَلَيْسَ بِيَوْمِ النَّحْرِ**». قُلْنَا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الْحَرَامِ؟**» قُلْنَا: بَلَىٰ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ وَأَبْشَارَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا فِي شَهْرِكُمْ هٰذَا فِي بَلَدِكُمْ هٰذَا، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ**». قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّهُ رُبَّ مُبَلِّغٍ يُبَلِّغُهُ لِمَنْ هُوَ أَوْعَىٰ لَهُ**»[1]. وكان ﷺ في تلك الحجة العظيمة يعلمهم مناسكهم وأمور دينهم ويقول لهم: «**إِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هٰذَا**»[2]، يخشىٰ عليهم ﷺ فيبذل قصارىٰ جهده في النصح والبلاغ والإنذار؛ علّهم يتذكّرون وصاياه، ولا ينسون نصحه وإرشاده، فيهتدون بذٰلك ما عاشوا عليه، ويسعدون في الدنيا والآخرة.

يعود ﷺ إلىٰ المدينة بعد أداء مناسك الحج علىٰ ناقته العضباء، يقود قوافل العائدين من الحجة الأولىٰ والأخيرة التي وقف فيها ﷺ وسط تلك

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٠٧٨)، و«صحيح مسلم» (٤٤٨٠).

(٢) «مسند أحمد» (١٤٩٨٩) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم. و«سنن الترمذي» (٨٨٦)، و«سنن النسائي» (٣٠٦٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٨٢).

الجموع علىٰ صعيد عرفة، مجيباً لنداء ربّ العالمين بأذان أبيه إبراهيم أبي الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج]، عاد رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة ليفني ما بقي من أيام عمره ودقائق حياته في نشر الرسالة وتبليغ الدين الذي بعث به، إنه مشوار التضحية والكفاح والبذل والعطاء إلىٰ آخر لحظة في الحياة، إنه المشوار الذي ختم بختم: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر].

بعد عودته ﷺ عبّأ جيشاً عظيماً لمقاتلة الرّوم فيه كبار المهاجرين والأنصار، وأمّر عليه الشاب الحدث صاحب الثمانية عشرة سنة، ذا الكفاءة والجدارة لتلك الإمارة، ورسول الله ﷺ أخبر بقادته وجنده وأفراد رعيته ﷺ، وصغر سنّ أسامة رضي الله عنه لا ينقص له فضلاً، كما أن كبر السن لا يهب للغبي عقلاً، ولله درّ أبي الطيّب المتنبي إذ يقول:

فَمَا الحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ   قَدْ يُوجَدُ الحِلْمُ فِيْ الشُّبَّانِ والشِّيبِ

طعن أناس في إمارة أسامة رضي الله عنه، فجاء الجواب النبوي شافياً كافياً: «**إِنْ تَطْعنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ. وَايْمُ اللَّهِ! إِنْ كَانَ لَخَلِيقاً لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ**»[1]، لكنّ هٰذا الجيش تأخر مسيره لانتشار خبر مرض النبي ﷺ، فرسول الله ﷺ أصابته وعكة المرض التي أقعدته الفراش ﷺ، واشتد الصداع الذي ألمّ به، وثقل عليه الوجع، وعظمت وطأته عليه، حتىٰ أنه لم يستطع الخروج إلىٰ الصلاة، وكان في بيت أم المؤمنين رضي الله عنها، ثم طلب أن يمرّض في بيت عائشة رضي الله عنها، فَأَذِنَّ له زوجاته رضوان الله عليهن لما يرينه من عظيم حبه لعائشة رضي الله عنها وارتياحه لها، فخرج ﷺ معصوب الرأس بين عمّه العباس بن عبد المطّلب وابن عمّه علي بن أبي طالب رضي الله عنهما تخط

(١) «صحيح البخاري» (٣٧٣٠)، و«صحيح مسلم» (٦٤١٧).

قدماه الأرض، لأن المرض قد أضعف قواه، وأوهن جسده، بأبي هو وأمي ﷺ.

وفي بيت الطاهرة المطهّرة الطيّبة المطيَّبة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها اشتد عليه المرض، واتّقدت الحرارة في بدنه، تقول عائشة رضي الله عنها: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ وَهُوَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ؛ بَيْنَ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ، ـ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَأَخْبَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بِالَّذِي قَالَتْ عَائِشَةُ، فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الْآخَرُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. ـ وَكَانَتْ عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ تُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا دَخَلَ بَيْتِي وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ قَالَ: «**هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَىٰ النَّاسِ**». فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقِرَبِ حَتَّىٰ طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ النَّاسِ، فَصَلَّىٰ بِهِمْ، وَخَطَبَهُمْ(١).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «**إِنَّ عَبْداً خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ**». فَبَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَىٰ هٰذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ إِلاَّ خُلَّةَ الْإِسْلَامِ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلاَّ خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ**»(٢).

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٤٤٢)، و«مسند أحمد» (٢٤٩٠٢، ٢٥٩٥٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٩٠٤).

ورجع رسول الله ﷺ بعد ذٰلك إلىٰ بيت عائشة رضي الله عنها وعاوده اشتداد المرض، لقد ضعفت قوته وانهزمت العافية أمام طغيان ذٰلك المرض العاتي، هناك أعباء كثيرة وأثقال كبيرة تنتظر برأه من مرضه، وصحوه من سقامه، وشفاءه من علته، ليبتّ فيها ويقطع، ويأمر فيها وينهىٰ، ولٰكن العلة حبسته فلم يستطع منها حراكاً، والمرض أقعده فلم يجد منه فكاكاً، ويخلفه ﷺ أيام مرضه إماماً للصلاة بالمسلمين صاحبه الوفي وصديقه التقي الصدّيق أبو بكر رضي الله عنه وذٰلك بأمر منه ﷺ.

وذٰلك أنه لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَ بِلَالٌ يُوذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ**» قالت عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، وَإِنَّهُ مَتَىٰ مَا يَقُمْ مَقَامَكَ لاَ يُسْمِعُ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ. فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ**». قَالَتْ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، وَإِنَّهُ مَتَىٰ يَقُمْ مَقَامَكَ لاَ يُسْمِعُ النَّاسَ؛ فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ. قَالَ: «**إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ**». فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ ـ أَيْ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه ـ وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَفْسِهِ خِفَّةً، فَقَامَ يُهَادَىٰ بَيْنَ رَجُلَيْنِ، وَرِجْلَاهُ يَخُطَّانِ فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ حِسَّهُ ذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ يَتَأَخَّرُ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ـ أَيْ أَنْ يَبْقَىٰ مَكَانَهُ ـ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّىٰ جَلَسَ عَنْ يَسَارِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي قَائِماً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي قَاعِداً، يَقْتَدِي أَبُو بَكْرٍ بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالنَّاسُ مُقْتَدُونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه[1]. إنها إشارة إلىٰ من سيخلفه من بعده وإن لم يعين شخصاً بعينه، غير أن أمره ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس إشارة إلىٰ أنه لا يستحق الخلافة بعد الرسول ﷺ أحد غيره، ولذٰلك جاء عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّها قَالَتْ: قَالَ لِيْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيْ مَرَضِهِ: «**ادْعِيْ لِيْ أَبَا بَكْرٍ وَأَخَاكِ حَتَّىٰ أَكْتُبَ كِتَاباً، فَإِنِّيْ أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّىٰ مُتَمَنٍّ وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَىٰ. وَيَأْبَىٰ اللَّهُ**

(١) «صحيح البخاري» (٧١٣)، و«صحيح مسلم» (٩٦٨).

وَالْمُؤْمِنُونَ إِلاَّ أَبَا بَكْرٍ»(١).

وفي هٰذه الأيام التي كان يوعك فيها وعكاً شديداً، ويعاني من برحاء المرض الذي ألمّ به ﷺ كان أبو بكر رضي الله عنه هو الذي يصلي بالناس حتىٰ كان اليوم الذي قبض فيه ﷺ. قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: **أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَا هُمْ فِي الْفَجْرِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَأَبُو بَكْرٍ** رضي الله عنه **يُصَلِّي بِهِمْ، فَفَجِئَهُمْ النَّبِيُّ** ﷺ **قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ** رضي الله عنها، **فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ صُفُوفٌ، فَتَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ** رضي الله عنه **عَلَىٰ عَقِبَيْهِ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ** ﷺ **يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَىٰ الصَّلاَةِ، وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلاَتِهِمْ فَرَحاً بِالنَّبِيِّ** ﷺ **حِينَ رَأَوْهُ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ أَتِمُّوا، ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ وَأَرْخَىٰ السِّتْرَ، وَتُوُفِّيَ ذٰلِكَ الْيَوْمَ** (٢)، فرجع المسلمون مستبشرين ظانين أن رسول الله ﷺ قد برئ من مرضه وشفي من علته، حتىٰ أن أبا بكر رضي الله عنه اطمأن لذٰلك أيضاً فعاد إلىٰ أهله في مسكنه بالسنح في عوالي المدينة.

وفي ذٰلك اليوم العظيم المشهود ورسول الله ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها وفي يوم نوبتها، ورأسه الشريف ﷺ في حجرها بين سحرها ونحرها، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَىٰ صَدْرِي، وَمَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سِوَاكٌ رَطْبٌ يَسْتَنُّ بِهِ، فَأَبَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَصَرَهُ، فَأَخَذْتُ السِّوَاكَ، فَقَصَمْتُهُ وَنَفَضْتُهُ، وَطَيَّبْتُهُ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَنَّ بِهِ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَنَّ اسْتِنَاناً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَمَا عَدَا أَنْ فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَفَعَ يَدَهُ أَوْ إِصْبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَىٰ**». ثَلاَثاً، ثُمَّ قَضَىٰ، وَكَانَتْ تَقُولُ: مَاتَ بَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي(٣)، وكانت تقول رضي الله عنها: فَمَاتَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهِ فِي بَيْتِي، فَقَبَضَهُ اللَّهُ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَبَيْنَ نَحْرِي وَسَحْرِي، وَخَالَطَ رِيقُهُ رِيقِي(٤).

---

(١) «صحيح مسلم» (٦٣٣٢)، و«مسند أحمد» (٢٥١٥٦).
(٢) «صحيح البخاري» (١٢٠٥).
(٣) «صحيح البخاري» (٤٤٣٨).
(٤) «صحيح البخاري» (٤٤٥٠).

فاضت الروح الطاهرة إلىٰ بارئها، وأظلمت المدينة بوفاته ﷺ، وطار النبأ العظيم يشق الآفاق، وارتفع الخبر الفادح يدويّ في أرجاء المدينة، حتىٰ أن الناس ذهلهم الخبر، فمنهم من عقد لسانه فلم يستطع كلاماً، وآخر شلت قدماه فلم يستطع قياماً، كانت لهم رضي الله عنهم في ذٰلك أحوال لعظم الهول واشتداد الكرب، سالت الدموع علىٰ الخدود، وارتفع النحيب، مات خير من خلق الله، ورحل أجل من برأ الله، إنه الرسول العظيم، والنبي الكريم، والقائد الحكيم، والمعلم الرحيم ﷺ.

مات رسول الله ﷺ لأن الموت فرض علىٰ كل حي إلا الحي الذي لا يموت سبحانه، مات رسول الله ﷺ وما جعل الله لبشر من قبله الخلد، مات رسول الله ﷺ وهو يوصي الأمة ويرشدها إلىٰ سبيل سعادتها وريادتها وسيادتها، ورفعتها وعلوّها وسموّها، إنه النهج العظيم الذي تركه، والميراث الكريم الذي ورثه: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ**»(١)، وفي حديث آخر: «**إِنِّيْ قَدْ خَلَّفْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا مَا أَخَذْتُمْ بِهِمَا، أَوْ عَمِلْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِيْ، وَلَنْ يَفترِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**»(٢). إن الأخذ بهٰذين النورين العظيمين والنبراسين الجليلين هو السبيل الوحيد في عودة الأمة إلىٰ سالف ماضيها العتيق، وماضي عهدها التليد، الذي تنكبت عنه الطريق، وفرطت فيه من قرون، فهٰذه روائع من السيرة العطرة جعلنا الله ممن يمتثل هدي صاحبها ﷺ ويقتدي به، ويستن بسنته، ويقتفي أثره، ففي ذٰلك سعادة الدارين؛ الدنيا والآخرة، جعلنا الله من أهل السعادة والرفعة، والكرامة والعزة، إنه سميع قريب مجيب.

❀ ❀ ❀ ❀

---

(١) «صحيح مسلم» (٣٠٠٩).

(٢) «سنن الدارقطني» (١٤٩)، و«السنن الكبرىٰ» للبيهقي (٢٠١٢٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٣٢).

الإِنْجَازُ العَظِيْمُ الَّذِيْ غَيَّرَ وَجْهَ التَّارِيْخِ

جاء في «دائرة المعارف البريطانية»: «لقد أنجز محمد في عشرين عاماً من حياته ما عجزت عن إنجازه قرون من جهود المصلحين اليهود والنصارىٰ، رغم السلطة الزمنية التي كانت تساعد جهودهم، علىٰ الرغم من أنه كان أمام محمد تراث أجيال من الوثنية والجهل والخرافات، واضطهاد الضعفاء، وكثرة الحرب بين القبائل ومئات الشرور الأخرىٰ».

عشرون عاماً غيّرت وجه التاريخ، كانت الإنسانية في طريق الانتحار غارقة في ظلام الجهل والضلالة حتىٰ بزغ النّور الذي بدّد الظلام، فكان الوحي الذي أنزل علىٰ محمد عليه الصلاة والسلام، مبتدئاً الأمر بالقراءة في أول آية نزلت من الوحي وهي قوله تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق]. كان هناك من يقاوم النور، ويدافع عن الجهل والضلال، والشرك والوثنية، كان هناك من يريد استمرار حياة الظلم والهمجيّة، واضطهاد الضعفاء، وسيطرة الأقوياء، ولٰكن ثلاث عشرة سنة قضاها رسول الله في صراع مع هٰذه القوىٰ التي لا تطيق أن ترىٰ الضعفاء وقد ارتفع شأنهم، وسادت العدالة والمساواة بين الناس، ولا تطيق أن ترىٰ الأوثان والأصنام التي تعبد من دون الله وقد تحطمت، فلا يعبد إلا إلٰه واحد هو رب السماوات ورب الأرض، وفي أوجّ هٰذا الصراع اضطر الداعية العظيم والمربي الكريم ﷺ للهجرة إلىٰ المدينة مع أصحابه رضوان الله عليهم، ودخل مع تلك القوىٰ في معارك وحروب حتىٰ تمكن

من العودة مرة أخرىٰ بعد أن استجمع القوّة وأعدّ العدّة، ليقضي علىٰ تلك القوىٰ ويحطمها نهائياً، ويحطّم معها الأوثان والأصنام التي تعبد من دون الله، ويعلن الإعلان الذي عمّ أرجاء المعمورة، ويرفع اللافتة التي سمت شرقاً وغرباً: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء] ارتفع صوت الحقّ عالياً، وعلت كلمة التوحيد، ورفرفت رايتها، وردّدها كل الناس الذين دخلوا في دين الله افواجاً، وتردد معهم أصداءها الجبال في الجزيرة العربية جمعاء، واهتزت عروش كسرىٰ وقيصر علىٰ حدود الجزيرة لهٰذا النصر العظيم والفتح المبين علىٰ الشرك في مكة المكرمة، وبعد أن تم له فتح مكة وطهّرها من أوثان الجاهلية، واستتب فيها الأمن والنّظام، نصّب عليها أميراً من جهته هو شاب من شباب الإسلام، لا يزيد عمره عن ثماني عشرة سنة، هو عتّاب بن أسيد ﷺ، ولٰكن ماذا حدث بعد ذٰلك؟.

وهنا يجب أن نقف وقفة لنبين أن سنن الله في الكون لا تتبدل ولا تتغير، وإنه يجب ألا يغترّ أحد بما منحه الله من نصر، وأن النصر ليس بالكثرة ولا بالقوة، وإن كانت القوة وسبباً للنصر، إلا أنها لا تكفي بمفردها، وأن الكثرة إذا لم تكن مدرّبة علىٰ الصمود، ويحدوها إيمان قويٌّ بالقضية التي تقاتل من أجلها فهي والعدم سواء، ولذٰلك أراد الله أن يدخل المسلمين في امتحان جديد، وتجربة تربوية، فكانت بعد فتح مكة مباشرة غزوة حنين، فبعد خمسة عشر يوماً من مقامهم بمكة، ترامت إليهم أنباء أيقظتهم من غفلة الفرحة والغبطة بالنصر، فقد تجمعت القبائل لقتالهم، فخرج المسلمون بقوّة وعدد لم يكن لهم به عهد قط، ولٰكنها لم تفدهم تلك القوة ولا ذاك العدد، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨﴾ [التوبة].

وبعد أن اجتازوا هٰذا الامتحان، وتميّز الخبيث من الطيّب، وعرف الذي يقاتل عن إيمان، والذي يقاتل من أجل الغنيمة، وبعد أن دفعوا الثمن غالياً، انتصروا نصراً مؤزّراً مرة أخرىٰ، وهٰكذا تكون النهاية لصالح الإيمان دائماً، وبعد أن عادوا إلىٰ المدينة واصل الرسول ﷺ تربيته لأصحابه رضوان الله عليهم علىٰ التضحية والإيثار، والتفاني في سبيل العقيدة، ولم تتوقف المقاومة والكيد للدعوة في المدينة وخارجها، وكان هناك اليهود والمنافقون يكيدون ويثبّطون الهمم، ويبلبلون الأفكار، وكان هناك فلول من المنهزمين في الجزيرة العربية، وهناك حول الجزيرة العربية قوتان عظيمتان؛ هما دولتا فارس والروم تراقبان هٰذه الدولة الناشئة، وتتوجسان خيفة من امتداد الدعوة الإسلامية، هٰذه الدعوة التي وحّدت العرب وجمعت البشرية تحت راية واحدة؛ هي راية الإسلام، فكانت الدولتان تخططان لاحتواء هٰذا الخطر الذي تشعران به، ولٰكن هيهات هيهات! فلابد مما ليس منه بد.

إن هٰذه الدعوة العظيمة والملة الكريمة قد جاءت لاقتلاع الضلال والفساد والظلم والطغيان، وسيادة الحقّ والعدالة في كل مكان، وعلىٰ يد أصحاب محمد ﷺ الذين واصلوا المسيرة، رافعين راية التحرير من عبودية العباد إلىٰ عبودية رب العباد، ومن جور الأديان إلىٰ عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلىٰ سعادة الدنيا والآخرة، انتهىٰ ملك كسرىٰ وقيصر، وهٰكذا سيكون حال الدول المناوئة المعادية والكائدة الماكرة لهٰذا الدين العظيم، الذي بعث به أعظم عظماء البشرية، لأنها مفلسة في ميزان الأخلاق والهدىٰ والحق والعدل. وقد بُعِثَ النبيّ ﷺ وهو السراج المنير البشير النذير الداعي إلىٰ الله بإذنه بعث بالأخلاق لينشر الخير والحق والهدىٰ

والعدل، وليبلغن دينه ما بلغ الليل والنهار ﷺ، يقول (مايكل هارت) الأمريكي لما كتب كتابه «الخالدون» أو «العظماء المائة»: «لقد اخترت محمداً ﷺ في أول هٰذه القائمة، ولابد أن يندهش كثيرون لهٰذا الاختيار، ومعهم حق في ذٰلك ولٰكن محمداً عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مُطلقا علىٰ المستوىٰ الديني والدُّنيوي. وهو قد دعا إلىٰ الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات، وأصبح قائِداً سياسياً وعسكرياً ودينياً، وبعد ثلاثة عشر قرناً من وفاته فإن أثر محمد ما يزال مُتجدِّداً»[١].

لحق الرّسول الأعظم والنبيّ الأكرم ﷺ بالرفيق الأعلىٰ بعد ثلاث وعشرين سنة قضاها في ترسيخ هٰذه الدعوة وتثبيت قاعدتها الصلبة، وخلق جيل من الدّعاة يحملون الرسالة، ربّاهم بالإسلام علىٰ أخلاق الإسلام حتىٰ غيّر نفوسهم، وحوّلهم إلىٰ نوع آخر من البشر، جيل لم يعرف التّاريخ جيلاً مثله، ولم تشهد الدنيا جماعة مجتمعة كتلك التي تربّت علىٰ يد سيد المربّين وإمام المصلحين ﷺ، ارتفعوا عن مغريات الدنيا وآفاتها، فكانوا ملائكة يمشون علىٰ الأرض، ودانت لهم الدنيا، وخضعت لهم الرقاب، وتحولوا بالإسلام من رعاة غنم إلىٰ رعاة أمم، ومن عرب أجلاف يتّصفون بالظلم والغلظة إلىٰ مسلمين أشراف يتصفون بالعدل والرحمة، وأصبحوا بالإسلام قوة لا تقهر، وتواضعوا لله ولم يتكبروا علىٰ عباده بعد أن كانوا قبائل متناحرة لا تعرف غير التنازع والتفاخر، وهٰذا التغيير في النفوس في الواقع هو الإنجاز العظيم لصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام، الذي بحق هو أعظم عظماء التاريخ، وأجل قادة الإصلاح، وأشرف رجال الدنيا، وهٰذا الإنجاز هو الذي غيّر وجه التاريخ، وحوّل مسار البشرية، فهل آن لنا أن نغيّر من أنفسنا باتباع نهج هٰذا الرسول الكريم، والنبي العظيم ﷺ ونقتفي أثر صحابته الكرام المخلصين العظام رضوان الله عليهم.

يقول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ

---

(١) «العظماء المائة» (ص١٣).

رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [محمد]، ويقول جلّ في علاه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر]، وجمع الله سبحانه السلف من أصحاب النبي ﷺ مهاجريهم وأنصارهم والمتبعين لهم من الخلف علىٰ مرّ العصور وتعاقب الأزمان بإحسان، فقال سبحانه مبيناً شرف الأوائل وشرف اتباعهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

*** * * ***

أَعْظَمُ دَاعِيَةٍ

النبيُّ محمد ﷺ صاحب المقام المحمود، مقامه عظيم عند الله سبحانه وعند المسلمين، ومكانته السّامية ومنزلته الرفيعة معروفة للكبير وللصغير، ومعلومة من الدين بالضرورة، فقد بعثه الله رحمة للعالمين، وأرسله بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، وشرح الله صدره، ورفع ذكره، وأعلىٰ قدره، ووضع عنه وزره الذي أنقض ظهره، وصلىٰ عليه وملائكته، وأمر المؤمنين بالصّلاة والسّلام عليه، وهو سيّد ولد آدم وخاتم الأنبياء والمرسلين، وأن علىٰ البشرية جميعاً أن تحترمه وتجلّه، ومن مسّه بالسوء والمهانة فيجب أن تقوم الأمة متضافرة متعاونة لإنزال أقصىٰ العقوبات بمن أهانه وأساء إليه، وإلا وقعت، والعقوبة من الله سبحانه جزاء السكوت علىٰ الظلم والباطل وإهانة خير خلق الله، وانتقاص أطهر من برأ الله، أرسله الله منقذا للبشريّة، وأخرجها به من ظلمات الجهالة وغياهب الباطل إلىٰ نور الإسلام والحق، فهل يعقل أن يأتي مفترون ويسيئون إلىٰ أكرم خلق الله ويصوّرونه صورة سيئة، لا تمت إلىٰ الحقيقة بأي صلة؟ بل هي تدل علىٰ الحقد والكراهية للحق والعدل والإنسانية، وليت هٰؤلاء رجعوا إلىٰ ما قاله المنصفون من أعلامهم مثل:(شبرل) عميد كلية الحقوق بجامعة (فيينا) في مؤتمر الحقوق سنة ١٩٢٧م قال: «إن البشرية تفتخر بانتساب رجل كمحمد ـ ﷺ ـ إليها إذ رغم أميّته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيون أسعد ما نكون لو وصلنا إلىٰ قمته بعد ألفي سنة»، ويقول الفيلسوف الإنجليزي المشهور

(برنارد شو): «لقد كان دين محمد موضع تقدير سام، لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة، وأرىٰ واجباً أن يدعىٰ محمد منقذ الإنسانية، وأن رجلاً كشاكلته إذا تولىٰ زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته». وكثير من المفكرين الغربيين الذين نظروا إلىٰ تاريخ الإسلام بحسن نية وقصد الحقيقة، اعترفوا بالحق، فالقرآن العظيم الذي حفظه الله سبحانه من التغيّر لا يستطيع أحد أن يشكّك في هدايته إلىٰ الحقّ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة].

إن رسول الله ﷺ أرحم الخلق بالخلق قلباً، وألينهم تعاملاً، فدعوته إلىٰ الإسلام الذي بعث به قامت أساساً علىٰ الحكمة والموعظة الحسنة، وسيرته ﷺ خير دليل وأعظم برهان علىٰ ذٰلك، قال سبحانه وتعالىٰ آمراً نبيّه ﷺ ومؤدباً له ومن اقتدىٰ به واتبع الهدىٰ الذي جاء به: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت]، وقال جلّ في علاه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران]، وقال سبحانه: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

﴿يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾ [الممتحنة].
والذين يتهمون الإسلام ورسول الإسلام عليه الصّلاة والسّلام بالإرهاب والعنف مغرضون، وإنما دعىٰ الإسلام إلىٰ إرهاب المحاربين الأعداء ومن في حكمهم، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ولك أن تقف مع مشاهد من مشاهد دعوته للآخر، وحواره مع الآخر، وكيف كان يقابل السيئة بالحسنىٰ، لأنه الرؤوف الرحيم بالأمة ﷺ، أعظم داعية، وأجلّ هادي، وخير مرشد. خرج رسول الله ﷺ قاصداً الطائف للدعوة، ماشياً علىٰ قدميه مجيئاً وذهاباً، ومعه مولاه زيد بن حارثة، وكان كلما مرّ علىٰ قبيلة من القبائل في الطريق دعاهم إلىٰ الإسلام، فلم تستجب له واحدة منها.

فلما وصل الطائف عمد إلىٰ ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف، وهم عبد ياليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي، فجلس إليهم ودعاهم إلىٰ الله، وإلىٰ نصرة الإسلام، فقال أحدهم هو يَمْرُط ثياب الكعبة: إن كان الله أرسلك. وقال الثاني: أما وَجَدَ الله أحداً غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً، إن كنت رسولاً لأنت أعظم خطراً من أن أردّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب علىٰ الله ما ينبغيْ أن أكلمك. فقام عنهم رسول الله ﷺ وهو يقول لهم: «**إِذْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَاكْتُمُوا عَنِّيْ**». وأقام رسول الله ﷺ في الطائف عشرة أيام، لا يترك أحداً من أشرافهم وعظمائهم إلا جاءه وكلمه ودعاه، فقالوا له: اخرج من بلادنا. وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم، فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتىٰ اجتمع عليه الناس، فوقفوا له صفّين، وجعلوا يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه، حتىٰ اختضب نعلاه بالدماء ﷺ[١].

(١) «السيرة النبوية» لابن كثير (١٤٩/٢ ـ ١٥٠)، و«الروض الأنف» (٣٣/٤ ـ ٣٥).

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ـ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ ـ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِيْ رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِيْ بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ** ـ الجَبَلَانِ المُطِفَان بمكة وهُمَا أبو قُبَيْس والأحْمَرُ وهو جبل مُشْرِفٌ وجهه علىٰ قُعَيْقِعَان ـ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً**»[1].

وروي لما اجتمع المشركون من كفار قريش في ساحة الحرم بعد دخوله ﷺ مكة فاتحاً ظافراً منصوراً في الفتح العظيم والنصر المبين، اجتمعوا بين يديه ﷺ، نظر إليهم وقال لهم: «**ما تَرَوْنَ أَنِّي صانِعٌ بِكُم**» ؟ قالوا: خيراً، أخٌ كريمٌ، وابنُ أخ كريم. فقال الرحيم الحليم ﷺ الذي تجسّد العفو والصّفح في شخصه الشريف: «**اذهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاء**»[2] نسي ﷺ كل ما حصل له ولأصحابه رضي الله عنهم من الإيذاء والطرد والتشريد علىٰ أيدي هٰؤلاء الذين يطلبون صفحه وعفوه، إنه أعظم داعية وهٰكذا ينبغي أن يكون الداعية لا ينتقم لنفسه، وإنما هو في حاله كله؛ غضبه وفرحه، سروره وحزنه، عقابه وعفوه، لله ومع الله وبالله، فحاله كله لله، جعلنا الله من أهل معيته.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَعَثَتْ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ضِمَامَ بْنَ ثَعْلَبَة

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٢٣١)، و«صحيح مسلم» (٤٧٥٤).

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (٧٤/٥)، و«السيرة النبوية» لابن كثير (٥٧٠/٣)، و«سنن البيهقي الكبرىٰ» (١٨٠٥٥).

وَافِداً إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ وَأَنَاخَ بَعِيرَهُ عَلَىٰ بَابِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، وَكَانَ ضِمَامٌ رَجُلاً جَلْداً أَشْعَرَ ذَا غَدِيرَتَيْنِ، فَأَقْبَلَ حَتَّىٰ وَقَفَ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**» قَالَ: مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» فَقَالَ: ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! إِنِّي سَائِلُكَ وَمُغَلِّظٌ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ؟ قَالَ: «**لاَ أَجِدُ فِي نَفْسِي فَسَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ**». قَالَ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَإِلٰهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ، آللَّهُ بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولاً؟ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**». قَالَ: فَأَنْشُدُكَ اللَّهَ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَإِلٰهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْمُرَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لاَ نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَأَنْ نَخْلَعَ هَذِهِ الْأَنْدَادَ الَّتِي كَانَتْ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ؟ قَالَ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**» قَالَ: فَأَنْشُدُكَ اللَّهَ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَإِلٰهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ هٰذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ؟ قَالَ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**». قَالَ: ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرَائِضَ الْإِسْلَامِ فَرِيضَةً فَرِيضَةً: الزَّكَاةَ، وَالصِّيَامَ، وَالْحَجَّ، وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ كُلَّهَا، يُنَاشِدُهُ عِنْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ كَمَا يُنَاشِدُهُ فِي الَّتِي قَبْلَهَا، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَسَأُؤَدِّي هٰذِهِ الْفَرَائِضَ، وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ، ثُمَّ لاَ أَزِيدُ وَلاَ أَنْقُصُ. قَالَ: ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعاً إِلَىٰ بَعِيرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ وَلَّىٰ: «**إِنْ يَصْدُقْ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ**»[1].

كل هٰذه الأدلة وغيرها تفصح عن صدق دعوة هٰذا الداعية العظيم والرسول الكريم والنبي الحكيم الحليم الرحيم محمد عليه أفضل الصّلاة وأزكىٰ التسليم، وتبيّن منهاج الرسالة التي يحملها إلىٰ البشرية لتحقيق العدالة والأمن والأمان لكل الناس، ومع ذٰلك يأتي من يسيء إلىٰ هٰذا الداعية العظيم صاحب هٰذه الرسالة الغراء والملة السمحة ويكذب عليه،

---

(١) «مسند أحمد» (٢٣٨٠) وغيره، قال الأرنؤوط: حسن.

ويتهمه بهتاناً وعدواناً وظلماً، تحت مظلة حريّة الرأي والتّعبير، وفي نفس الوقت لا تعطىٰ حريّة الرأي والتّعبير لمن يقول الحقّ في السّاميّة والمحرقة اليهودية. والواقع أن ذٰلك كله يرجع إلىٰ الازدواجية والتناقض عند دول الغرب، فهٰذه الدول تدعم احتلال البلاد العربية والإسلامية، وتدعم إسرائيل علىٰ اغتصاب فلسطين، والظلم والتنكيل بالفلسطينيين وتشريدهم من بلادهم، وتزعم هٰذه الدول أنها ديمقراطية، وتتبنىٰ حقوق الإنسان، وهي في الواقع لا تعترف بحقوق الإنسان إلا في حدود مصالحها، وإذا قارنت أحكام هٰؤلاء بأحكام الإسلام، ستجد هناك الفرق الشاسع والبون الواسع، فهم يظلمون الآخرين الذين يكرهونهم، بينما ما جاء به رسول المرحمة ﷺ من عند ربّه كلامه العظيم وقرآنه الكريم يقول فيه سبحانه جلّ في علاه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة:٨]، وفي المساواة بين الناس يقول جلّ في علاه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات]، وقال سبحانه في حماية الأنفس من الاعتداء عليها بغير حق: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢].

إن دين الإسلام دين العدالة والرحمة والمحبة بين الناس جميعاً، فهو ينصر المظلوم ويقيم العدل، ورسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام رسول إلىٰ الإنسانية والعالم والناس كافة، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف]، وقبل هٰذه الآية أشار الله في القرآن الكريم إلىٰ ما يجده أصحاب الديانات السابقة في التوراة والإنجيل عن هٰذا النبي عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ

يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

فالمسؤولية الآن علىٰ المسلمين جميعاً أن يتوحدوا فيما بينهم ويلتزموا نهج نبيهم ﷺ، ويدرسوا سيرته ﷺ، وينظروا في تعامله ﷺ ودعوته للآخر، فرسول الله ﷺ هو القدوة والأسوة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب]. فطريقته ﷺ في الدعوة إلىٰ الله هي الطريقة المثلىٰ، والنهج الأسمىٰ، والعروة الوثقىٰ إذا التزمها أهل الإسلام واستمسكوا بها؛ تمكّنوا من إقناع الآخرين، وإيصال الخير إليهم، وحينها يأتي نصر الله فيدخل الناس في دين الله أفواجاً، وعند ذٰلك لا يكون هناك ظلم ولا فساد ولا طغيان في الأرض.

نسأل الله أن يجعلنا من حزبه الغالبين الذين تولوا الله ورسوله والمؤمنين، ونصلي ونسلم علىٰ سيدنا محمد الذي أرسله الله منقذاً للبشرية ورحمة للعالمين، وأنزل عليه القرآن لإحقاق الحق وإبطال الباطل، والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊ ❊

إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ[1]

إن الحنيفية التي بعث بها نبينا محمد ﷺ دين الإسلام والإيمان، وملّة السّلام والأمان، ودستور الرحمة والعطف والإحسان، ونبراس التعاون علىٰ البر والتقوىٰ لا الإثم والعدوان، وفي الحديث الصحيح الذي يرويه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمٰنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِيْ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِيْ السَّمَاءِ**»[2]. وفِيْ حَدِيْثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءِ**»[3]، وصح عنه ﷺ أنه قال: «**مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةَ عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[4]، ورسولنا ﷺ المبعوث بدين الرحمة، والداعي إلىٰ الرحمة، وصفه ربه جل في علاه بأنه رحمة، فهو رحمة بالمؤمنين: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم

---

(١) جزء من حديث رواه الحاكم في «المستدرك» (١٠٠) قال الحاكم: صحيح علىٰ شرطهما. ووافقه الذهبي في «التلخيص». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٤٥).

(٢) «مسند أحمد» (٦٤٩٤) قال الأرنؤوط: صحيح لغيره، و«سنن أبي داود» (٤٩٤٣)، و«سنن الترمذي» (١٩٢٤) قال أبو عيسىٰ: هٰذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٢٢).

(٣) «صحيح البخاري» (١٢٨٤)، و«صحيح مسلم» (٢١٧٤)، و«مسند أحمد» (٢١٨٢٤).

(٤) «الأدب المفرد» (٣٨١)، والطبراني في «الكبير» (٧٩١٥)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٧).

بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]، بل هو رحمة للعالمين، قال الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]، وسيرته ﷺ مفعمة بالرحمة، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَارِبَ بْنَ خَصَفَةَ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّىٰ قَامَ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «**اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**» فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي**»؟ قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ. قَالَ: «**أَتَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ**» قَالَ: لاَ، وَلٰكِنْ أُعَاهِدُكَ عَلَىٰ أَنْ لاَ أُقَاتِلَكَ، وَلاَ أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّىٰ سَبِيلَهُ، فَأَتَىٰ قَوْمَهُ، فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ[1]، إنه نبيّ الرحمة ﷺ.

وقد تجلت رحمته ﷺ فبلغت دعوة الكافر، وتعليم الجاهل، وإرشاد المخطئ، وتنبيه الغافل، ومناغاة الصبيان والأطفال، ولك أخي القارئ رحمك الله أن تتأمل قول أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَىٰ بَنَاتِهِ يَدْعُوهُ إِلَىٰ ابْنِهَا فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَىٰ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّىٰ، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**» فَأَعَادَتْ الرَّسُولَ أَنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَدُفِعَ الصَّبِيُّ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنٍّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا هٰذَا؟ قَالَ: «**هٰذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»[2]. إنه الرحمة المهداة ﷺ. ولك أن تقف أمام هٰذا المشهد العظيم الذي يربي فيه ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم علىٰ الرحمة والتراحم. فعن مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ قَالَ: أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا

(١) «مسند أحمد» (١٥٢٢٧)، وأصل الحديث في «صحيح البخاري» (٢٩١٠)، و«صحيح مسلم» (٦٠٩٠).

(٢) «صحيح البخاري» (٧٣٧٧)، و«صحيح مسلم» (٢١٧٤)، و«مسند أحمد» (٢١٨٣٧).

عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَفِيقاً رَحِيماً، فَقَالَ: «**ارْجِعُوا إِلَىٰ أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»(١).

ومشهد آخر عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَىٰ أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْراً لإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: «**يَا ابْنَ عَوْفٍ! إِنَّهَا رَحْمَةٌ**» ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَىٰ، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَىٰ رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»(٢).

ويقولُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: مَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعاً لَهُ فِيْ عَوَالِيْ الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ، فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ، وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْناً، فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ(٣). فما أرحمه ﷺ.

وهٰذا مشهد ثالث، وكم تتنوع مشاهد الرحمة في حياته ﷺ، فعن أَبِيْ هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِساً، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَداً، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ**»(٤)، وفي

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٠٠٨)، و«صحيح مسلم» (١٥٦٧)، و«مسند أحمد» (١٥٦٣٦).

(٢) «صحيح البخاري» (١٣٠٣)، و«صحيح مسلم» (٦١٦٧)، و«مسند أحمد» (١٣٠٣٧).

(٣) «صحيح مسلم» (٦١٦٨)، و«مسند أحمد» (١٢١٢٣).

(٤) «صحيح البخاري» (٥٩٩٧)، و«صحيح مسلم» (٦١٧٠)، و«مسند أحمد» (٧٦٣٦).

حديث عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ. فَقَالُوا: لٰكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقَبِّلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ**»(١).

ومشهد رابع يربي فيه ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم علىٰ الرحمة وهو المرسل بالرحمة عليه الصلاة والسلام، فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ ﵁ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّيْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ! فَرَمَانِيْ الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَىٰ أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِيْ لَكِنِّيْ سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبِأَبِيْ هُوَ وَأُمِّيْ مَا رَأَيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِيْ، وَلَا ضَرَبَنِيْ، وَلَا شَتَمَنِيْ قَالَ: «**إِنَّ هٰذِهِ الصَّلَاةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**»(٢).

ومشهد آخر تجلت فيه رحمته ﷺ حتىٰ تجاوزت نطاق البشرية إلىٰ نطاق العجماوات، فصحَّ أنَّ رسول الله ﷺ دَخَلَ حَائِطاً لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا فِيهِ نَاضِحٌ لَهُ ـ وهو البعير الذي يستسقىٰ به ـ، فَلَمَّا رَأَىٰ النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ وَسَرَاتَهُ فَسَكَنَ، فَقَالَ: «**مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ**»؟ فَجَاءَ شَابٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا. فَقَالَ: «**أَلاَ تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَاكَ إِلَيَّ، وَزَعَمَ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ** ـ أي تَكُدُّه وتُتْعِبُه ـ»(٣).

فواعجباً! حتىٰ العجماوات ألهمها الله أن محمداً ﷺ رحمة مهداة، ونعمة مسداة، فأين أنتم يا من تؤذون البهائم؟ فضلاً عن إيذاء البشر

(١) «صحيح مسلم» (٦١٦٩)، و«مسند أحمد» (٢٤٤٥٣).

(٢) «صحيح مسلم» (١٢٢٧)، و«مسند أحمد» (٢٣٨١٣).

(٣) «مسند أحمد» (١٧٥٤) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، و«سنن أبي داود» (٢٥٥١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٦٩).

والاستخفاف بهم، أين أنت يا رئيس الدولة؟ وأين أنت يا مدير المدرسة؟ أين أنت يا رب الأسرة؟ أين أنت يا راعي الغنم؟ وأنت يا سائق الإبل؟ فاتقوا الله جميعاً فيمن ولاكم واسترعاكم، ولئن كان محمد ﷺ قد مات وانتقل إلىٰ جوار ربه، فلا تصل شكوىٰ البهائم إليه، فإن الله سبحانه حيٌّ لا يموت، وسينتصف لكل مظلوم من ظالمه، حتىٰ يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء. ففي الحديث الصحيح عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»(١).

إن الواجب علىٰ المسلم أن يكون في قلبه الرحمة للآلاف المؤلفة من إخوانه المسلمين الذين يتعرضون للمجاعات والأمراض في أنحاء العالم الإسلامي من أرجاء المعمورة، فيبذل ما يستطيع لمساعدتهم بتوفير ما يلزم لسد حاجاتهم، وإشباع جوعهم، ويجود بما تتطلبه ظروف حياتهم الصعبة، ويساهم في الخير والمعروف استجابة لما أمر الله به وأرشد إليه من إغاثة الملهوف، وتفريج كرب المكروب من المؤمنين، ففي الحديث أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِيْ حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِيْ حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢). ويقول ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً**»(٣)، ويقول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِيْ تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ**»(٤).

إذا أنعم الله علىٰ المسلم بالمال فعليه أن ينظر إلىٰ إخوانه الذين لا

---

(١) «صحيح مسلم» (٦٧٤٥)، و«مسند أحمد» (٧٢٠٣).
(٢) «صحيح البخاري» (٢٣١٠)، و«صحيح مسلم» (٦٧٤٣).
(٣) «صحيح البخاري» (٤٦٧)، و«صحيح مسلم» (٦٧٥٠).
(٤) «صحيح البخاري» (٥٦٦٥)، و«صحيح مسلم» (٦٧٥١) واللفظ له.

يجدون المستشفيات لعلاج مرضاهم، ولا يجدون المدارس لتعليم أبنائهم، فضلاً عن أولٰئك الذين لا يجدون ما يسدون به الرمق. فكثير من مناطق العالم الإسلامي اليوم تعاني من الفقر والجهل والمرض. فعلىٰ القادرين من المسلمين أن ينجدوهم ويعينوهم علىٰ التغلب علىٰ مشاكلهم، وإنقاذهم مما يعانون، فيطعموا الجائعين، ويعالجوا المرضىٰ ببناء المستشفيات لهم، ويعلموهم ببناء المدارس لأبنائهم.

فعلىٰ القائمين علىٰ الأعمال الخيرية في العالم الإسلامي التنسيق في العمل بينهم، حتىٰ يحصل التكامل، وحتىٰ تؤتي هٰذه الأعمال ثمارها، وخاصة في البلدان التي تُستهدف من قبل التنصيريين، فلولا التقصير من المسلمين ما كان هٰذا العدد الكثير من الكنائس في إفريقيا، ولا دخلت هٰذه الجموع الكبيرة من الأفارقة في النصرانية، فعلىٰ المسلمين تقع مسؤولية نشر رسالة الإسلام، رسالة الرحمة للعالمين التي بعث بها محمد عليه الصلاة والسلام الذي قال عنه رب العزة والجلال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

* * * *

الإِسَاءَةُ إِلَىٰ أَعْظَمِ خَلْقِ اللَّهِ جَرِيْمَةٌ

ما نشر في الدّنمارك والنّرويج من رسوم كاريكاتيريّة في بعض الصحف تسيء إلىٰ رسول الإسلام أعظم خلق الله محمد عليه الصلاة والسلام الذي أرسله الله رحمة للعالمين، يفرض علىٰ المسلين جميعاً أن يتصدّوا لهٰؤلاء المجرمين المفترين في الدنمارك والنّرويج وغيرها من دول الغرب، وأن يقاطعوا كل دولة ترضىٰ أن يساء إلىٰ الإسلام والمسلمين في بلادها من غير نكير، ولا تعتذر بما جرىٰ فيها، فإذا كانوا يؤمنون بالحريّة وبحقّ كل شخص أن يقول ما يريد في نطاق الحرية فعليهم أن يقولوا الحقّ وينكروا الباطل، ويعتذروا عما جرىٰ من إساءة وتزوير في حقّ الآخرين.

إنّ محمداً عليه الصلاة والسلام الذي اصطفاه الله وفضله علىٰ العالمين، وأرسله رحمة للعالمين؛ لا يمكن أن يقبل أحد من أهل الإيمان والعدل والإنصاف أن يتناوله أهل الظلم والكذب والجهل بالحقائق بالتنقيص والسبّ والافتراء، فهناك في هٰذا العالم بعض الناس تستهويهم أغراضهم وما يسعون إليه من باطل لإلحاق الأذىٰ بالآخرين، ويتمادون في غيِّهم وطغيانهم وعدوانهم وافتراءاتهم، وقد عرف التاريخ ممن يُسَمَّون بالمستشرقين تحالفهم والاستعمار والتبشير والعلمانية من أجل الهجوم علىٰ الإسلام، ورسول الإسلام عليه الصلاة والسلام في القرن التاسع عشر، وفي هٰذا القرن بعد حادث الحادي عشر من سبتمبر، قال أحد الساسة الأمريكيين وممثّل لإحدىٰ الولايات الغربية: إنه يحق للولايات المتحدة الأمريكية ضرب المسجد الحرام والمسجد النبوي بالقنابل إن تعرضت

أمريكا في المستقبل لأي هجوم إرهابي من مسلمين متطرفين. فأي ذنب للمسجد الحرام والمسجد النبوي في أحداث الحادي عشر من سبتمبر أو أي أحداث تكون في المستقبل؟ وقال مثله جنرال أمريكي يشغل منصباً كبيراً في وزارة الدفاع الأمريكية في خطاب له بإحدىٰ الكنائس بولاية أريجون بأن عيسىٰ عليه السلام يتفوق علىٰ كثير من الأنبياء ومنهم محمد ﷺ، وقال: إن إلٰهنا أعظم من إلٰههم (أي المسلمين)، ولا يدري هٰذا الأمريكي المسكين أن المسلمين يحبّون عيسىٰ عليه السلام ويحترمونه، ولا يكون مسلماً من لا يؤمن بعيسىٰ عليه السلام نبيًّا ورسولاً، ولٰكن عيسىٰ عليه السلام لا يرضىٰ أن يتخذ إلٰهاً كما يعتقدون. فالمسلمون يحبّون الأنبياء والرسل جميعهم صلوات الله وسلامه عليهم؛ ومنهم موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام، ويؤمنون بهم، ومن سخر من أحد منهم أو احتقره، فهو خارج عن الإسلام، ويستحق أعظم العقاب، ورسول الإسلام عليه الصلاة والسلام علّم أتباعه كل الخصال الحميدة وهو القدوة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]، فلا يجوز للمسلم أن يسيء إلىٰ أحد فضلاً عن نبيٍّ من الأنبياء، فإذا أساء إلىٰ نبيٍّ من الأنبياء كفر وخرج عن الإسلام.

ونحن لا ننكر أن هناك من المستشرقين منصفين، وإن كانوا لا يؤمنون بالنبوة، فقد أبرزوا النّواحي الإنسانية المتفوّقة في رسول الإسلام عليه الصّلاة والسّلام، فقد قال (بارتلي سانت هيلر) عن رسول الإسلام عليه الصّلاة والسّلام: «أكثر عرب أهل زمانه ذكاء، وأشدهم تديّناً، وأعظمهم رأفة، وأنه نال سلطانه الكبير بفضل تفوّقه، وأن دينه الذي دعا الناس إلىٰ اعتقاده كان جزيل النعم علىٰ جميع الشعوب التي اعتنقته». ويقول عنه (أرفنج): «كان يكره إذا دخل حجرة علىٰ جماعة أن يتوسلوا له و يبالغوا في الترحيب به، وإن كان قد هدف إلىٰ تكوين دولة عظيمة دولة الإسلام، . . .» إلىٰ أن يقول: «. . . كان الرسول في كل تصرفاته منكراً ذاته، رحيماً بعيداً عن التفكير في الثراء والمصالح الماديّة، فقد ضحّىٰ بالماديّات في سبيل الروحانيات». وقال (أرفنج) أيضاً: «وكذٰلك فلا يحبّذ

الرسول أن يسود علىٰ حساب نسبة المسلمين إليه، ولم يستعمل محمد ﷺ وأتباعه أبداً عبارة (محمدي) أو (المحمدية)، فعلىٰ الرغم من توقيرهم لزعيمهم فقد كان محمد المخلص يعرض عن هٰذه التسمية دوماً، . . . إلىٰ أن يقول: «. . . ومن الخطأ أن تقول رجلاً محمّديًّا أو امرأة محمدية، فما قرّر محمد في يوم من الأيام أن الدّين الذي جاء به من وحي تفكيره، وما انتحل لنفسه أي صفة إلٰهية، وما عبده أحد من أتباعه، فقد قال إنه كنوح وموسىٰ».

وقال (غوستاف لوبون) في كتابه «حضارة العرب»: «كان محمد ﷺ شديد الضبط لنفسه، كثير التفكير، صموتاً حازماً، سليم الطويّة، كان صبوراً قادراً علىٰ احتمال المشاق، بعيد الهمة، ليّن الطّبع وديعاً، وكان مقاتلاً ماهراً، فكان لا يهرب أمام الأخطار، ولا يلقي بيديه إلىٰ التهلكة، وكان يعمل ما في الطّاقة لإنماء خلق الشجاعة والإقدام في بني قومه، ومنها سلوك وأعمال خاصة».

وكثير من المستشرقين قالوا في رسول الله ﷺ كلمة حقٍّ وصدق، وإن كان بعضهم لا يؤمن بالنبوة، ولٰكن أولٰئك المفترين لن يستطيعوا إقناع أحد بآرائهم الزائفة.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]، ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

إنه النبي الكريم والرسول العظيم الذي شهد له بعظمته حتىٰ أعداؤه الذين لا يؤمنون به، فهو أطهر من خلق الله وأجل من برأ، يقول حسان رضي الله عنه:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِيْ ... وَأجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ

خُـلِـقْـتَ مُـبَـرَّأً مـنْ كـلّ عَـيْـبٍ   كَـأَنَّـكَ قَـدْ خُـلِـقْـتَ كَـمَـا تَـشَـاءُ

إنه محمد بن عبد الله ﷺ، الذي يقول فيه أيضاً حسان رضي الله عنه:

لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ النَّبيَّ مُحَمَّداً   فَأَكْرَمُ خَلْقِ اللَّهِ فِيْ النَّاسِ أَحْمَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنِ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ   فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهٰذَا محَمَّدُ

وما أجمل أبيات البوصيري(١) إذ يقول:

مُحَمَّدٌ أَشْرَفُ الأعْرَابِ والعَجَمِ   مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ قَدَمِ
مُحَمَّدٌ بَاسِطُ المَعْرُوفِ جَامعَةً   مُحَمَّدٌ صاحبُ الإحسانِ والكرمِ
مُحَمَّدٌ تَاجُ رُسْلِ الله قاطِبَةً   مُحَمَّدٌ صَادِقُ الأقْوَالِ وَالكَلِمِ
مُحَمَّدٌ ثَابِتُ المِيثَاقِ حَافِظُهُ   مُحَمَّدٌ طَيِّبُ الأَخْلَاقِ وَالشِّيَمِ
مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ الله مِنْ مُضَرٍ   مُحَمَّدٌ خَيْرُ رُسْلِ الله كُلِّهِمِ

إنه الشرف الذي ناله ﷺ في حياته وبعد مماته، والشرف كل الشرف والرفعة كل الرفعة في الذود عن جنابه الكريم والدفاع عن مقامه العظيم ﷺ، يقول الشاعر صالح بن علي العمري:

إِمَامَ المُرْسَلِينَ فِدَاكَ رُوحِيْ   وَأَرْوَاحُ الأَئِمَّةِ وَالدُّعَاةِ
رَسُولَ العَالمينَ فِدَاكَ عِرْضِيْ   وَأَعْرَاضُ الأَحِبَّةِ وَالتُّقَاةِ
وَيَا عَلَمَ الْهُدَىٰ يَفْدِيْكَ عُمْرِيْ   وَمَالِيْ يَا نَبِيَّ الْمَكْرُمَاتِ
وَيَا تَاجَ التُّقَىٰ تَفْدِيْكَ نَفْسِيْ   وَنَفْسُ أُوْلِيْ الرِّئَاسَةِ وَالوُلَاةِ
فِدَاكَ الْكَونُ يَا عَطِرَ السَّجَايَا   فَمَا لِلنَّاسِ دُونَكَ مِنْ زَكَاةِ
فَأَنْتَ قَدَاسَةٌ إِمَّا استُحلَّتْ   فَذَاكَ الْمَوتُ مِنْ قَبْلِ الْمَمَاتِ

(١) . البوصيري شاعر مجيد بارع، ولكن أحياناً يغلو في مدح النبي ﷺ بما لا يليق بمقام النبي ﷺ، كما في قصيدة البردة المشهورة، فليتنبه لمثل ذٰلك.

وَلَـوْ جَـحَـدَ الـبَـرِيَّـةُ مِـنْـكَ قَـولاً   لَكُبُّوا فِيْ الْجَحِيْمِ مَعَ العُصَاةِ
وَعِـرْضُـكَ عِـرْضُـنَـا وَرُؤَاكَ فِـيْـنَـا   بِـمَـنْـزِلَـةِ الـشَّـهَـادَةِ وَالـصَّـلَاةِ
رُفِعْتَ مَنَازِلاً وَشُرِحْتَ صَدْراً   وَدِيـنُـكَ ظَـاهِـرٌ رُغْـمَ الْـعُـدَاةِ
وَذِكْـرُكَ يَـا رَسُـولَ الـلَّـهِ زَادٌ   تُـضَـاءُ بِـهِ أَسَـارِيـرُ الْـحَـيَـاةِ
وَغَـرْسُـكَ مُـثْـمِـرٌ فِـيْ كُـلِّ صقْعٍ   وَهَـدْيُـكَ مُـشْـرِقٌ فِـيْ كُـلِّ ذَاتِ
وَمَـا لِـجِـنَـانِ عَـدْنٍ مِـنْ طَـرِيْـقٍ   بِـغَـيْـرِ هُـدَاكَ يَـا عَـلَـمَ الـهُـدَاةِ
وَأَعْلَىٰ اللَّهُ شَأْنَكَ فِيْ الْبَرَايَا   وَتِلْكَ الْيَومَ أَجْلَىٰ الْمُعْجِزَاتِ
أَلَا بُـتِـرَتْ رَوَافِـدُ كُـلِّ فَـضٍّ   تَـمَـرَّغَ فِـيْ وُحُـولِ الـسَّـيِّـئَـاتِ
أَلَا أَبْـلِـغْ بَـنِـيْ عِـلْـمَـانَ عَـنِّـيْ   وَقَـدْ عُـدَّ الـعَـمِـيْـلُ مِـنَ الْـجُـنَـاةِ
أَرَاكُـمْ تَـرْقُـصُـونَ عَـلَـىٰ أَسَـانَـا   وَتَـسْـتَـحْـلُـونَ مَـيْـلَ الْـغَـانِـيَـاتِ
وَإِنْ مَا هَاجَتِ الشُّبُهَاتُ خُضْتُمْ   بِـأَلْـسِـنَـةٍ شِـحَـاحٍ فَـاجِـرَاتِ
«حِوَارُ الآخَرِ» اسْتَشْرَىٰ فَذُبُّوا   عَنِ الْمَعْصُومِ أَلْسِنَةَ الْجُفَاةِ
وَصَوتُ «الآخَرِ» اسْتَعْلَىٰ فَرُدُّوا   عَـنِ الْـهَـادِيْ سِـهَـامَ الافْـتِـئَـاتِ
رَمَـيْـتُـمْ بِـالْـغُـلُـوِّ دُعَـاةَ دِيْـنِـيْ   فَـهَـلْ مِـنْ حُـجَّـةٍ نَـحْـوَ الـغُـلَاةِ
أَكُـرَّارٌ عَـلَـىٰ قَـومِـيْ كُـمَـاةٌ   وَفِيْ عَيْنِ الْمُصِيْبَةِ كَالبَنَاتِ
وَمَـنْ يَـرْجُـو بَـنِـيْ عِـلْـمَـانَ عَـونـاً   كَرَاجِيْ الرُّوحِ فِيْ الْجَسَدِ الرُّفَاتِ
رَسُـولَ الـحُـبِّ فِـيْ ذِكْـرَاكَ قُـرَبَـىٰ   وَتَـحْـتَ لِـوَاكَ أَطْـوَاقُ الـنَّـجَـاةِ
عَـلَـيْـكَ صَـلَاةُ رَبِّـكَ مَـا تَـجَـلَّـىٰ   ضِـيَـاءٌ وَاعْـتَـلَـىٰ صَـوتُ الْـهُـدَاةِ
وَلَـوْ سُـفِـكَـتْ دِمَـانَـا مَـا قَـضَـيْـنَـا   وَفَـاءَكَ وَالْـحُـقُـوقَ الْـوَاجِـبَـاتِ

❊ ❊ ❊ ❊

الَّذِيْنَ أَسَاؤُوْا ظَالِمُونَ مُجْرِمُوْنَ

لما نشرت صحف دنماركية رسوماً مسيئة لأعظم شخصية، هي شخصية نبيِّ الإسلام محمد عليه الصلاة والسّلام، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وأكرمه بكل صفات وخصال الخير والرِّفعة والعظمة التي لم يبلغها أحد في العالمين، تساءل الجميع عن أسباب هٰذه الحملة الشرسة التي تدل علىٰ خسّة ودناءة من قام بها، ولذٰلك فإنّ علىٰ المسلمين كافة الذين آمنوا بهٰذا الرسول الكريم أن يتصدوا لهٰؤلاء المارقين المجرمين الظالمين المفسدين، لأنهم أجرموا في حق الإنسانية وحق كل أهل الفضل والمنة، فالله سبحانه وتعالىٰ قد بعث الأنبياء والرسل وخاتمهم الذي لا نبي بعده نبينا محمّد عليه الصلاة والسلام، وقد اختار الله أنبياءه ورسله لأنه لا يماثلهم في شرفهم وعزتهم وكرامتهم أحد من خلقه، وهو سبحانه أعلم بخلقه، ومن هو أحسن الخلق ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤]، ولا ينال من هٰذه الصفوة ويسيء إليها إلا أسوأ الخلق، وأرذلهم، وأفسدهم، ومن كانت له مطامع وأغراض سيئة في هٰذه الدنيا. ومحمد سيد الخلق وأعظمهم ﷺ كما يقول الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد التفّ به فريق من الربانيين الأتقياء كانوا له تلاميذ مخلصين، فزكت بصحبته نفوسهم، وشفت طباعهم حتىٰ أشرق عليها من أنوار الإلهام ما جعلها تنطق بالحكمة وفصل الخطاب، ولا تحسبن العقل الجبار مهما أوتي من نفاذ يستطيع إدراك الكمال بقوته الخاصة، فإذا لم تسدده عناية عليا فإنه يجوب كل أفق دون أن يبصر غاية أو يهتدي طريقاً كالطيار الذي يظل في

الجو عندما يتكاثر أمام أعينه الضباب، إنه يحكم القيادة، ويضبط الآلات، ويرسل أنوار مصابيحه في أحشاء الغيوم المتراكمة، فإذا لم يتلقّ إرشاداً يحدّد له مكانه ويعرِّفه كيف يهبط، فإنه سيظل يحلِّق عبثاً ثم تهوي به الريح في مكان سحيق».

وقال: «إن الإنسان ليس عقلاً فحسب إنه قبل ذٰلك قلب ينبغي أن يسلم من الأهواء والآثام، وأن ينجو من الشقاوة والظلام، وأن يكون في حنايا صاحبه قوة تسوق الخير والحب وحادياً يهفو إلىٰ الجمال والرحمة. والمرسلون الكرام يتعهدون ضمائر البشر بالتعليم والتربية، وأشبه الناس بهم من اقتفىٰ آثارهم وأخذ طريقهم، وأول أولٰئك قاطبة من صحبوهم في حياتهم، وقاسموهم أعباء دعوتهم، ومغارم جهادهم. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من كان مستناً فليستن بمن مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة. أولٰئك أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا أفضل هٰذه الأمة، أبرّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم علىٰ أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا علىٰ الهدىٰ المستقيم»[(١)]، ولاشك أن أصحاب محمد ﷺ يرجحون أصحاب موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام، فإن تاريخهم في الإيمان والجهاد وإبلاغ الدعوة إلىٰ الأخلاف كاملة مضبوطة، غير منقوصة ولا محرّفة لا يشبه أي تاريخ آخر»[(٢)].

ويقول رحمه الله أيضاً: «إن المؤمنين الذين صحبوا الأنبياء واقتربوا من حياتهم أتيح لهم ما لم يتح لغيرهم من منابع الصفاء، ووسائل الارتقاء.

إن مشاعرك ترق عندما تسمع النغم العذب، وعواطفك تسمو عندما تقرأ البطولة الرائعة، بل إنَّ الذين يحضرون تمثيل بعض الروايات المثيرة

---

(١) «شرح السنة» للبغوي (٢١٤/١)، وضعفه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٤٢/١).
(٢) «فقه السير» (ص٢٠٠ ـ ٢٠١).

يصبغهم جو القصة المفتعلة، فيضحكون ويبكون، ويهدئون ويضجون.. فما ظنك بقوم يتبعون رجلاً تكلِّمه السماء، ويتفجر من جوانبه الكمال، ويسكب علىٰ من حوله آيات الطهر؟ فإذا ثقلت نفوسهم عن خير، دفع بها إلىٰ الأمام، وإذا علقت بمسالكهم شهوة نقّاها فرد عليها سناءها. إن للعظماء إشعاعاً يغمر البيئة التي يظهرون فيها، وكما يقترب المصباح الخامد من المصباح المشتعل فيضيء منه، تقترب النفوس المعتادة من الفرد الممتاز، فتنطوي في مجاله وتمشي في آثاره!!»[1].

إنّ المسلمين عليهم إذا أرادوا الانتصار علىٰ أعدائهم ونيل رضا الله والفوز في الدنيا والآخرة أن يخرجوا من الظلمات إلىٰ النور، وأن يرجعوا إلىٰ كتاب الله الذي أنزله الله علىٰ رسوله محمد ﷺ، وبه أخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور، قال تعالىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١﴾ [إبراهيم]، وقال ﷺ عن كتاب الله العظيم، النّبع الصافي الوحيد، والمورد العذب الفريد، الذي كان ﷺ يقصر أصحابه وأتباعه علىٰ الأخذ منه: «**كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنِ ابْتَغَىٰ الْهُدَىٰ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّىٰ قَالُوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَىٰ الرُّشْدِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[2]، والسنة الصحيحة عن حبيب القلوب ﷺ هي ردف

(١) «فقه السيرة» (ص٢٠٠).

(٢) «سنن الترمذي» (٢٩٠٦)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (١٩٣٥). وقال الألباني: ضعيف جداً« .مشكاة المصابيح» (٢١٣٨). لٰكن مع ضعفه فمعناه صحيح.

الكتاب العزيز وصنوه، لأنها وحي من الله تبارك وتعالىٰ، ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»[1].

لقد أنصف كثير من المؤرخين في الغرب والشرق عندما قالوا عن نبينا وحبيبنا محمد عليه الصلاة والسلام: «لقد كان الرسول ﷺ وسيظل النموذج الإسلامي الأعلىٰ للبطل وكانت صورته دائماً وتجربته وعلمه موضع القدوة عند كل بطل وقائد، فهو الذي كان إذا اشتد البأس اتقىٰ الناس به، فما يكون أحد أقرب إلىٰ العدو منه»[2]. فقد قام ﷺ بأعمال حازمة حين جعل أبناء الصحراء أمة تمكنت من المحافظة علىٰ المدينة وقدمتها إلىٰ نصف أرجاء المعمورة، وقد رسم القرآن الكريم صورة للبطولة تحدد مفهومها، فكل الأبطال الذين عرضهم القرآن أبطال مقاومة لا يستسلمون أمام الظلم، ولا يحنون رؤوسهم للعدوان، بل يقفون دائماً موقف الصمود والمقاومة مرفوعي الرؤوس، فقد كانت رسالتهم دائماً هي رسالة التقدم والبناء، لقد كان البطل دوماً في مفهوم الإسلام استجابة لحاجة المجتمع والأمة وفق نواميس تكوينها التي قامت عليها ينبعث في وقت الأزمة من أعماقها، ثم هو بعد ذٰلك يصنع الأحداث ويقود أتباعه إلىٰ مرحلة جديدة من مراحل العمل فوق موجة من موجات التقدم والعدالة، فالعدالة هي الأساس في دعوة الإسلام التي جاء بها رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي جاء بأوامر الله وأحكامه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل]، ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الحديد:٢٥]، ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ﴾ [الشورىٰ:١٥]، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ [غافر:٣١]، ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٦٠٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٤٣).

(٢) «صحيح مسلم» (٤٧١٦)، و«مسند أحمد» (١٠٤٢) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء:٥٨]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة]، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٢]، ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات].

يقول الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتمتاز بعثة محمد (ﷺ) بأنها عامة ودائمة. والله ﷻ كان يستطيع أن يبعث في كل قرية نذيراً، ولكل عصر مرشداً.

وإذا كانت القرىٰ لا تستغني عن النُّذُر، والأعصار لا تستغني عن المرشدين، فلِمَ استعيض عن ذٰلك كله برجل فذ؟

الحق أن هٰذا الاكتفاء أشبه بالإيجاز الذي يحصِّل المعنىٰ الكثير في اللفظ اليسير. وبعثة محمد عليه الصلاة والسلام كانت عوضاً كاملاً عن إرسال جيش من النبيين يتوزع علىٰ الأعصار والأمصار، بل إنها سدت مسد إرسال ملك كريم إلىٰ كل إنسان تدب علىٰ الأرض قدماه، ما بقيت علىٰ الأرض حياة، وما تطلعت عين إلىٰ الهدىٰ والنجاة..!!

ولٰكن كيف ذٰلك؟!

في المزالق المتلفة قد يقول لك ناصح أمين: أغمض عينيك واتبعني، أو لا تسلني عن شيء يستثيرك؟ وربما تكون السلامة في طاعته. فأنت تمشي وراءه حتىٰ تبلغ مأمنك. إنه في هٰذه الحال رائدك المعين، الذي يفكر لك، وينظر لك، ويأخذ بيدك. فإن هلك هلكتَ معه.

أما لو جاءك من أول الأمر رجل رشيد فرسم خط السير، وحذرك مواطن الخطر، وشرح لك في إفاضة ما يطوي لك المراحل ويهوّن المتاعب، وسار معك قليلاً ليدربك علىٰ العمل بما علمت. فأنت في هٰذه

الحال رائد نفسك، تستطيع الاستغناء بتفكيرك وبصرك عن غيرك.

إن الوضع الأول أليق بالأطفال والسذج، وأما الوضع الأخير فهو المفروض عند معاملة الرجال وأولي الرأي من الناس.

والله ﷻ عندما بعث محمداً عليه الصلاة والسلام لهداية العالم، ضمَّن رسالته الأصول التي تفتِّق للألباب منافذ المعرفة بما كان ويكون.

والقرآن الذي أنزله علىٰ قلبه هو كتاب من رب العالمين إلىٰ كل حي، ليوجهه إلىٰ الخير ويلهمه الرشد.

لم يكن محمد عليه الصلاة والسلام إماماً لقبيل من الناس صلحوا بصلاحه، فلما انتهىٰ ذهبوا معه في خبر كان، بل كان قوة من قوىٰ الخير، لها في عالم المعاني ما لاكتشاف البخار والكهرباء في عالم المادة. وإن بعثته لتمثل مرحلة من مراحل التطور في الوجود الإنساني، كان البشر قبلها في وصاية رعاتهم أشبه بطفل محجور عليه، ثم شبّ الطفل عن الطوق ورشح لاحتمال الأعباء وحده، وجاء الخطاب الإلٰهي إليه ـ عن طريق محمد (ﷺ) يشرح له كيف يعيش في الأرض، وكيف يعود إلىٰ السماء. فإذا بقي محمد (ﷺ) أو ذهب، فلن ينقص ذٰلك من جوهر رسالته.

إن رسالته تفتيح الأعين والآذان، وتجلية البصائر والأذهان، وذٰلك مودع في تراثه الضخم من كتاب وسنة.

إنه لم يبعث ليجمع حول اسمه أناساً قلّوا أو كثروا؛ إنما بعث صلة بين الخلق والحق الذي يصحّ به وجودهم، والنور الذي يبصرون به غايتهم.

فمن عرف في حياته الحق، وكان له نور يمشي به في الناس فقد عرف محمداً (ﷺ) واستظل بلوائه وإن لم ير شبحه أو يعش معه»[1].

إن أولٰئك الذين أساؤوا للرسول الأعظم والنبي الأكرم ﷺ بما

(١) «فقه السيرة» (ص٢٠ ـ ٢١).

نشروه في الصحف من رسوم مسيئة أساؤوا لأعظم وأفضل وأجلّ خلق الله الذي جاء بالحق والعدل وكل المحاسن والمكارم إنسان تجمع فيه ما تفرق في عالم الناس من مكارم ومآثر وخير ومجد وعز ورفعة، فيجب أن تفرض علىٰ أولٰئك أقسىٰ العقوبات التي تعيد الحق إلىٰ نصابه: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء] فهٰؤلاء ظالمون مجرمون، مفسدون معتدون.

❊ ❊ ❊ ❊

أَيُّهَا الهِنْدَوسِ مَا تَنْقِمُونَ عَلَىٰ نَبِيِّ الإِسْلَامِ؟

درجت بعض الصحف الهنديّة علىٰ التهجّم علىٰ نبيّنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، ومن هٰذه التهجّمات مقال نشرته جريدة ذي ديكان هيرالد التي تصدر بالإنجليزية في مدينة بنجلور في جنوب الهند، هٰذا المقال كله سبٌّ وشتم، وطعون في نبي الإسلام، كعادة المتعصّبين والحاقدين من أعداء الإسلام، فاستفزّت مشاعر المسلمين، وجرحت كرامتهم، وكان المقال في صورة قصة افتعلها كاتب في الصحيفة بعنوان «محمد الغبي» وفيها تجريح وتعريض بشخصية أعظم عظماء الدنيا وأجل قادة الإصلاح محمد عليه الصلاة والسلام، وقام المسلمون بمظاهرة يعلنون فيها احتجاجهم علىٰ هٰذا التطاول علىٰ شخصية نبيّهم الكريم ﷺ، واستمرار الإساءة إلىٰ مشاعرهم، وقام البوليس الهندي كما هي عادته بقمع المظاهرة بكل العنف والقوة حتىٰ قتل العشرات، وجرح العشرات من المسلمين المتظاهرين في بنجلور وميسور. ولا ندري ماذا ينقم هٰؤلاء الهندوس علىٰ الرحمة المهداة محمد عليه الصلاة والسلام؟ الذي بعث رحمة للعالمين، وهو العبقري العظيم الموحىٰ إليه من الله، وشهد بعبقريّته أعداؤه قديماً وحديثاً، ولا نعتقد أن هٰؤلاء يجهلون عبقريّته، ولٰكن حقدهم الغبي هو الذي جعلهم يصفونه بالغباء. فهل عيبه أنه دعا إلىٰ عبادة الله الواحد الأحد، وترك ما يعبده الوثنيون من أصنام وأحجار وأشجار وأبقار، ليرقىٰ بتفكير البشرية، وينتشلهم من الجهل، وانحطاط التفكير والسلوك؟.

لقد اعترف كل من غاندي ونهرو زعيما الهندوس بعظمة نبيِّ الإسلام

وعبقريّته، واعترفا بما قدّمه المسلمون للهند من خدمات جليلة، ولٰكن هٰؤلاء الرّعاع من المتعصبين الهندوس، وعملاء الاستعمار، والشيوعية، والصهيونيّة، يأبون إلا أن ينالوا من مقدسات المسلمين وشعائرهم وأن يسيئوا إليهم ويستدرجوهم إلىٰ معارك جانبيّة لينقضّ عليهم البوليس الهنديٍّ الحاقد، بالقتل والضرب والاعتقال، وأن يجعلوا المسلمين دائماً في فتن ومحن، حقداً وعصبيّة وعنصريّة.

ألا فليعلم الهندوس أن المسلمين لن يقبلوا بأن تهان مقدساتهم وشعائرهم، ولن يسمحوا لأي أحدٍ أن ينال من شخصية نبيّهم العظيم، وقرآنهم الكريم، وإننا ما زلنا نذكر مطالبة الهندوس بالحظر علىٰ المسلمين من تداول القرآن، في البنغال وبلغ الأمر إلىٰ ساحات القضاء.

إنه لمن الغريب أن يمنع التوحيد لحساب الوثنية والشرك، ومن الغريب أيضاً أن يشفق الهندوس علىٰ الحشرات والفئران، ويقاوموا إحضار المبيدات التي تأتي بها المؤسسات الصحيّة إشفاقاً منهم علىٰ الحشرات والفواسق الضّارة، بينما لا يتورّعون أن يسفكوا دماء المسلمين. ولٰكن ماذا نقول فيمن اتخذ الحيوانات آلهة تعبد من دون الله سبحانه، واعتبروا أرواثها مقدّسة؟ فلو كانوا يعقلون لعرفوا أن محمداً ﷺ إنما جاء من أجل إنقاذهم من وهدة الوثنية، والارتفاع بهم إلىٰ سموّ الإنسانية، فليس ديناً الذي يقسم الناس إلىٰ طبقات منبوذة، وطبقات مقدّسة، والبقرة فيه أعظم المقدسات. ولو كان هٰؤلاء الذين يهاجمون محمداً ﷺ عندهم ذرّة من عقل، لالتفتوا إلىٰ أنفسهم أولاً، وفكّروا في دينهم وتراثهم، وحكّموا فيه عقولهم.

إن الله سبحانه لم يجعل مثل تلك الخرافات والخزعبلات ديناً لبعض عباده، فالإنسان كرّمه الله، إذ خلقه بيده وسوّاه، وأسجد له الملائكة اعتزازاً له، فهل يعقل أن يجعل له ديناً تعبد فيه مخلوقات حقيرة؟ وإذا جاء من يقول للإنسانية يجب أن يعبد الإلٰه الواحد الذي خلق الإنسان

والمخلوقات، ودعا الناس إلىٰ التفكير بعقولهم، وأرشدهم إلىٰ الطريق الصحيح للعبادة الموصلة لطاعة الله الخالق، وأتىٰ بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، قصم به الجبابرة، وساوىٰ بين الناس، وقال لهم: «**أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ أَعْجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ، وَلاَ لِأَحْمَرَ عَلَىٰ أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَىٰ أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَىٰ**»(١)، هل من يأتي بذٰلك يوصف بالغباء ويحتقر؟ وإذا كان عرب الجاهلية عندما جاءهم قالوا له: ساحر ومجنون، وثاروا عليه لتسفيه آلهتهم وأصنامهم، ثم ما لبثوا أن آمنوا به، وعرفوا أنه ليس بساحر ولا مجنون، وأنه الصادق الأمين الذي عرفوه في الجاهلية قبل أن يوحىٰ إليه، فكيف يأتي الآن من لم يحضره ولم يره فينتقصه ويسبّه؟!فهل قرأ هٰؤلاء القرآن الذي أنزل معه؟ وهل عرفوا سيرته وقرأوها من مصادرها الصحيحة، وتبيّن لهم أنه يستحق ما يتهمونه به؟ أو أن الحقد هو الذي أعماهم فقالوا فيه ما قالوا ظلماً وعدواناً؟

إن المسلمين كافة عليهم أن يقوموا بواجبهم ويتصدوا للحملات المسعورة التي توجّه إلىٰ دينهم ونبيّهم ﷺ، وألا يتركوا الأقليات الإسلامية تعاني من الاضطهاد والذل، واستفزاز المشاعر من أناس ننظر إليهم كأصدقاء وهم في الحقيقة أعداء: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]. فأين غيرتكم علىٰ نبيكم وإسلامكم يا مسلمون؟ قال الله سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

❊ ❊ ❊ ❊

(١) «مسند أحمد» (٢٣٥٣٦) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وكذا الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٧٠٠).

دِفَاعٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

إن أعداء الملة والدين دائماً حربهم معلنة علىٰ الإسلام وعلىٰ رسول الإسلام وعلىٰ دستور الإسلام القرآن الكريم، وكثيراً هي الحملات المسيئة التي تشن، ومنها ما حصل في دولة الدنمارك علىٰ مرأىٰ ومسمع من العالم أجمع، والذي أثار ضجة بين المسلمين، وبعث الحمية في نفوسهم دفاعاً عن حمىٰ سيد المرسلين وخاتم النبيين عليه صلوات وسلام رب العالمين.

لقد ضجّ الإعلام وخرجت الشعوب الإسلامية إلىٰ الشوارع معلنة استنكارها لما حدث، وقامت سوق حملات المقاطعة لتلك الدولة ومنتجاتها، حميّة لرسول الإسلام عليه الصّلاة والسّلام، وارتجّت المساجد بالخطب والمحاضرات، وكتب العلماء البيانات والفتاوىٰ منددين ومستنكرين بلسان المغضب الذي علا صوته وتغير لونه، واعتبروا ذٰلك من الإهانة للإسلام والمسلمين، وأن كل ما ألصق بالرسول ﷺ كذب وافتراء قصد به الإساءة للإسلام وأمة الإسلام، وأن الواجب علىٰ الدول في البلاد الإسلامية أن تقوم بواجبها اتجاه ذٰلك، فيلزمها فعل ما تضغط به علىٰ تلك الدولة؛ فتعلن اعتذارها عما حدث، وتفتح المجال للتعريف بالإسلام ونبيّ الإسلام عليه الصلاة والسلام، ومراقبة كل الحملات المغرضة المشينة التي وراءها الصهيونية العالمية، وأن ترد علىٰ أولٰئك الذين يتجنون علىٰ الإسلام ورسول الإسلام عليه الصلاة والسلام، وتتصدىٰ لهم قولاً وفعلاً دفعاً وردعاً حتىٰ يخنع ويخسأ المفترون والظالمون في كل مكان، ومن يسكت

عن هٰذا المنكر العظيم فهو مسؤول أمام الله أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين.

إننا نقول لهٰؤلاء الشانئين الحاقدين: إن نبينا محمداً ﷺ أرسله الله رحمة للعالمين، ودعا الناس عربهم وعجمهم إلىٰ ما فيه صلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وقال لأهل الكتاب: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٦٤].

فيا أيّها الشانئون الحاقدون: من الذي بلغ مستوىٰ نبي الإسلام محمد بن عبد الله في الأخلاق الفاضلة والخصال العالية علىٰ مرّ الزمان؟. لقد كان ﷺ خلقه القرآن، وشهد له التاريخ أنه لا ينتقم لنفسه ولا يغضب إلا لربّه جلّ وعلا، كان ﷺ أصدق الناس قولاً وفعلاً، وأوفاهم ذمة، وأرحمهم وأكرمهم عشرة، وألينهم عريكة، يقابل السيئة بالحسنىٰ، ويعفو ويصفح، لا يتصف بشدة ولا غلظة، ولم يكن فاحشاً ولا متفحّشاً ولا سبّاباً ولا لعّاناً، ومن سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بالقول الحسن، ليس بفظٍّ ولا غليظ، كان يحترم جاره، ويكرم ضيفه، وما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، يغيث الملهوف، وينصر المظلوم، ويعود المريض، والقوي والضعيف عنده في الحق سواء، يمزح ولا يقول إلا حقًّا وصدقاً، وكان أكثر الناس تواضعاً، ويكره أن يقوم الناس له، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ». قال: «وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذٰلك»[1]. وكان عليه الصلاة والسلام لا يتميز عن أصحابه في ملبس أو مجلس، فيدخل الأعرابي فيقول: أيكم محمد؟ قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم]، وقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ

(١) «مسند أحمد» (١٢٣٦٧)، والترمذي (٢٧٥٤)، وصححه الألباني.

﴿لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. لقد اجتمعت له مكارم الأخلاق جميعها وتجسّدت في شخصه الشريف ﷺ، قال الله سبحانه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: ٢١]. ولمعرفة المزيد عن صفاته ﷺ وأخلاقه عليك مراجعة كتاب «الشمائل المحمّدية» للإمام الترمذي.

إن الواجب علىٰ الأمة بأجمعها أن تنفر للذود عن حياض النبوّة، كل بحسبه، ولا بد وأن يقوم كل منا علىٰ ثغر، قال سبحانه: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [التوبة]، ومن أعظم الجهاد الدفاع عن النبي ﷺ، ولذٰلك قال الله سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢١﴾ [التوبة].

❊ ❊ ❊ ❊

إِسَاءَةٌ إِلَىٰ نَبِيِّ الإِسْلامِ فِيْ بَلَدِ الإِسْلامِ فَأَيْنَ أَنْتُمْ يَا مُسْلِمُونَ؟

تمادىٰ أعداء الإسلام من الكفرة والملحدين والمنافقين في كفرهم وإلحادهم وبغيهم وعدائهم وافترائهم علىٰ الله ورسله والمؤمنين، لأنهم لم يردعهم رادع، ولم يجدوا من يعاقبهم علىٰ جرمهم وفعلهم الشنيع ويأخذ الحق منهم، لذٰلك أفرطوا في باطلهم وازدادوا كفراً علىٰ كفرهم، وبغياً علىٰ بغيهم، وضلالاً علىٰ ضلالهم، وأكثروا من التجنِّي والاعتداء علىٰ الإسلام والمسلمين وخاتم النبيين وسيّد المرسلين عليه صلوات وسلام رب العالمين، فآذوا المسلمين، وانتهكوا حرماتهم، وأهانوا مقدّساتهم، وتطاولوا علىٰ شعائرهم ورموزهم، ومن هٰذه الإهانات والإساءات الكفر البواح المتمثّل في كتاب أحد الماركسيّين الذين انتقلوا من أحضان الشيوعية إلىٰ أحضان الصهيونية وهو المدعو (خليل عبد الكريم) الذي لا يعرف غير الطعن في المقدّسات، فكتابه الأخير قد سمّاه مغالطة وتغطية للجريمة التي ارتكبها في هٰذا الكتاب «فترة التكوين في حياة الصادق الأمين» وشاركته في الجريمة دار نشر ميريث التي نشرته بعنوان «مختارات ميريث: فترة التكوين في حياة الصادق الأمين».

وقد أحسنت جبهة علماء الأزهر عندما أدانت نشر هٰذا الكتاب وبينت ما اشتمل عليه من كفر، فقد نشرت مجلة المجتمع في عددها رقم (١٤٥٦) ٢٠٠١/٦/٢٣م: «أدانت جبهة علماء الأزهر ما أقدمت عليه دار نشر ميريث بالقاهرة من إساءة بحق المصطفىٰ ﷺ إذ نشرت كتاباً يحمل

عنوان «مختارات ميريث: فترة التكوين في حياة الصادق الأمين»، للكاتب الماركسي (خليل عبد الكريم)، زعم فيه أن الرسول ﷺ صناعة القسّ ورقة بن نوفل، وإنه ارتكب الفاحشة مع السيدة خديجة رضي الله عنها قبل أن يتزوج بها، وإنه مما يؤثر عنه لبس الحرير وشرب الخمر، وأن معجزاته من معتقدات البيئة والمخاريق... إلخ» وقال بيان للجبهة: «أن من يقول هٰذا الكلام أو بعضه لا مكان له بين الناس، وأن مكانه اللائق به هو هوام الأرض وبطون السباع؛ سواء أكان ناشراً أم كاتباً، فكيف به وقد قال ما هو أشنع من ذٰلك؟ وأكدت الجبهة أن استهداف الدين في هٰذه الأوقات هو إعلان حرب علىٰ الأمة لا يقبل معه تذرّع بحرية فكر أو إبداع مع أنه ليس من الفكر ولا من الإبداع أن تأتي كل هٰذه الأباطيل والإساءات في الكتاب، مشدّدة علىٰ أنها إنما تضع بين أيدي المسؤولين هٰذا الكتاب وما طفح به ليكشفوا للأمة حقيقة الدار الناشرة له، وليقوموا بحق الله تعالىٰ وحق الأمة عليهم نحوها، ونحو المارق الأثيم الذي أيدته الدار بتلك الجريمة، وأيدها بعض مخزون صدره وذٰلك لتحقيق أغراض سادتهم فينا » حسب تعبيرها. والبيان حمل توقيع رئيس الجبهة د. العجمي، د. سنهوري والأمين، د. سعد أبو الفتوح أمينها، د. الوكيل، د. عبد الحي الفرماوي إضافة إلىٰ د. يحيىٰ إسماعيل الأمين العام السابق للجبهة.

لقد أصبح المرتدون بما يكتبونه وينشرونه مثل المحاربين فيجب التصدّي لهم، ولا يكفي أن يفرّق بين الرجل وزوجته كما يجري الآن من المطالبة بالتفريق بين الزوجين بسبب الردة، وإنما حكم الردة هو القتل كما جاء في الحديث الشريف الصحيح: «**مَنْ بَدَّلَ دِيْنَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[1] والردّة تقابل الخيانة العظمىٰ في القوانين الوضعية، وهي من الجرائم التي تشكّل خطراً مباشراً علىٰ أمن الدولة الإسلامية. إن نظام العقاب في الإسلام يهدف إلىٰ حماية المصالح التي يجب حفظها. فالمصالح والمقاصد الضرورية ترجع إلىٰ

(١) «صحيح البخاري» (٣٠١٧)، و«مسند أحمد» (١٨٧١) .

أصول خمسة: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، فأساس كل هٰذه المصالح وقاعدتها الدّين، فمن هدم الدين فقد هدم المجتمع، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧]. وفي الحديث الصحيح قال الرسول ﷺ: «**لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّيْ رَسُولُ اللَّهِ إِلاَّ بِإِحْدَىٰ ثَلاَثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِيْ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ؛ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**»[١]. وهٰؤلاء المسيئون لم يرتدّوا عن الإسلام فحسب، بل تحدّوا مشاعر المسلمين وطعنوا في المقدسات والشعائر، وأثاروا الفتن بأفكارهم المنحرفة، وأفسدوا أفكار الشباب.

إنه لو طُبِقَ في بلاد الإسلام حد الردة لوضع حدًّا لهٰؤلاء المستهترين المجرمين المعتدين المفسدين وعملاء الصهيونية وأعداء الإسلام. وما فعله المدعو (خليل عبد الكريم) وما صدر منه من إساءة وانتقاص في كتابه لرسول الإسلام أعظم خلق الله عليه الصلاة والسلام لا يتحمّل أي مسلم مهما كان إسلامه هٰذه الإساءة التي قيلت فيه ﷺ من قبل هٰذا الفاجر، وعلىٰ المسلمين كافّة في مشارق الأرض ومغاربها أن يستنكروا مثل هٰذه الإساءة، ويحتجوا بكل الوسائل الشرعية علىٰ دور النشر التي تطبع وتنشر مثل ذٰلك، بل وعلىٰ وزارة الثقافة في البلاد التي ينشر فيها مثل هٰذه الإساءة وغيرها مما يسيء لرسول الإسلام عليه الصلاة والسلام وشعائر الإسلام، والمطالبة بحكم الله في دور النشر وفي كل من يساهم في نشر مثل ذٰلك. فإنه إن لم ينتصر المسلمون لرسولهم ودينهم فلمن ينتصرون؟ ونقول ونتساءل أين أنتم يا مسلمون: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٨٧٨)، و«صحيح مسلم» (٤٤٦٨)، و«مسند أحمد» (٣٦٢١).

ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]، وقال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

❊ ❊ ❊ ❊

«وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا»

قرأت ما كتبه بعض الكتّاب عن قضية ذٰلك السخيف المتطاوِل الذي حكم عليه بالسجن من قبل محاكم الكويت لتطاوله علىٰ الرسول ﷺ وإساءته إلىٰ الإسلام، وساوىٰ ذٰلك الكاتب بين قضية المتطاول وإيقاف جريدة سياسية كويتية لمدة خمسة أيام فقال: «ما حدث لاثنيهما سُبَّة في جبين الفكر الحر، وكلاهما تعرض لعقاب دون جريمة حقيقية».

كيف يقول ذٰلك الكاتب عن المتطاول إنه تعرض لعقاب دون جريمة حقيقية، وهو قد تطاول علىٰ حبيب الحق وسيد الخلق ﷺ. ومع أن العقوبة الصادرة من المحاكم في حق ذٰلك المتطاول ليست هي العقوبة المقررة شرعاً. فماذا سيقول لو حكم عليه بالحكم الشرعي في ذٰلك؟ فهل في رأي الكاتب إباحة التطاول علىٰ سيد المرسلين ورسول رب العالمين؟ وأن يساء إلىٰ أكثر من مليار مسلم في العالم بسبب نبيّهم والإساءة إليه بحجة حرية الرأي والفكر؟

إن حريّة الفكر والرأي غير الإساءة والكذب والافتراء، لٰكن المفلسيون في الفكر هم وحدهم الذين يلجأون إلىٰ إثارة مثل هٰذه الأمور الدينية والتاريخية، ويطعنون في المقدّسات ويتطاولون علىٰ أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. إنهم يطالبون بالحرية في فساد العقول والأخلاق، ويسكتون عن الاستبداد والظلم والدكتاتورية، بل نجد بعضهم يطالب بعقوبة لمن يسب الرؤساء والحكام ويطلق الحريّة لمن يسبّ الإلٰه والأنبياء ويطعن في الشريعة وأحكامها كما هو موجود في كثير من البلدان

التي تزعم أنها ديمقراطية وليبرالية. يقول وليد الأعظمي:

يُسَاقُ لِلسِّجْنِ مَنْ سَبَّ الرَّئِيْسَ وَمَنْ سَبَّ الإِلٰهَ فَإِنَّ النَّاسَ أَحْرَارُ

إن سبّ الرسول أشد من سبِّ الإلٰه من حيث ترتب العقوبة في الدنيا، فالذي يسبّ الإلٰه تقبل توبته، لأن الله قد أخبرنا أنه يقبل توبة عبده في الدنيا من كل ذنب في حقه. وأما الذي يسبّ الرّسول ﷺ فإن ولو تاب توبة صادقة من سبه فإن ذٰلك لا يمنع إقامة الحد عليه، لأن السب فيه حق للنبيّ ﷺ وقد تَعَذَّر معرفة عفوه عن حقه بموته، ولا يتأتّىٰ طلب العفو منه وقد فارق الحياة الدنيا، فبقي القتل علىٰ مستحقه، فيجب إقامته الدنيا ولو أظهر الساب توبته[1].

ولا ندري لماذا يشغل العلمانيون أنفسهم بما مضىٰ من التاريخ، ويسيئون إلىٰ أمتهم بالطعن في مقدساتها وأمامهم الكثير مما يمكن أن يشغلوا أنفسهم به، ويعود بالخير لأنفسهم وأوطانهم. فمن المستفيد مما يقوله هٰؤلاء وغيرهم ممن أرضوا أعداء الإسلام وأغضبوا المسلمين؟ ولماذا يجعل مثل ذٰلك الكاتب من نفسه محامياً عن مثل ذٰلك المتطاول علىٰ الجناب المحمدي الطاهر؟ لماذا لا يكون مدافعاً عن نبيّ الإسلام ضدّ ذٰلك المتطاول الذي ثبتت إساءته إليه؟

إن علىٰ كل مسلم أن يدافع عن نبيّ الإسلام الذي أرسله الله رحمة للعالمين؟ وهو الذي أخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور، وأعزّ الله به العرب بعد أن كانوا في بداوة وجاهلية. فهل يكون جزاؤه الإساءات من أبناء العرب الذين استهوتهم الأفكار المنحرفة؟ أليس رسول الله ﷺ قد جاء بالحريّة للإنسان، وأنقذ المستضعفين الذين كانوا يعانون من القهر

(١) انظر: «الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ» (٢/٢١٤ ـ ٢١٩)، و«الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول» (١/١ ـ ١٥).

والظلم في مكة مثل: زيد، وبلال، وياسر، وعمار، وسمية؟

أليس القرآن الذي أنزل علىٰ محمد عليه الصلاة والسلام قد قرر المساواة بين البشر قبل أن يعرف هٰؤلاء المساواة والعدل؟ قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء]، وقال جلّ في علاه: ﴿يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة].

هناك في الإسلام حرية وهناك عدالة فماذا تريدون بعد ذٰلك؟ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام قمة حرية القول، فما هي الحرية إذن؟ هل يريد العلمانيون حريّة الكفر والفسق والفجور؟ إنّ هٰذه ليست حرية ولٰكنها عبودية للشهوات، والله لا يرضىٰ لعباده الكفر.

عودوا إلىٰ رشدكم أيها العلمانيون العرب، اسلكوا ميدان العلوم إن كنتم صادقين، فالإسلام دين العلم والحرية والمساواة والعدالة وهٰذه الأمور واضحة في نصوص الكتاب والسنة فلماذا تظلمون الإسلام، فالحرية ليست السب والشتم والتحلل من الأخلاق.

وأخيراً نقول مرة أخرىٰ كما في القرآن: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨].

❊ ❊ ❊ ❊

شَاتِمُ الرَّسُولِ ﷺ خَارِجٌ مِنَ الإِيْمَانِ

لقد ذكر الله سبحانه في كتابه الكريم في آيات كثيرة ما فيه دلالة علىٰ تعظيم النبي ﷺ، وبيان شرفه ومكانته وعظيم منزلته ﷺ، والأدب معه عليه الصلاة والسلام، ومن جملة تلك الآيات الكريمة قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب]. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمقصود من هٰذه الآية أن الله سبحانه وتعالىٰ أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلىٰ بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالىٰ أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً»(١).

ثم قال الله جلا وعلا بعد هٰذه الآية مباشرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧﴾ [الأحزاب]. قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما أمر تعالىٰ بتعظيم رسوله ﷺ، والصلاة والسلام عليه، نهىٰ عن أذيته، وتوعد عليها فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وهٰذا يشمل كل أذية، قولية أو فعلية، من سب وشتم، أو تنقص له، أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذىٰ.﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: أبعدهم وطردهم، ومِنْ لَعْنِهم في الدنيا أنه يحتم قتل من شتم الرسول، وآذاه، ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/٤٥٧).

لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ جزاء له علىٰ أذاه، أن يؤذىٰ بالعذاب الأليم. فأذية الرسول ليست كأذية غيره، لأنه لا يؤمن العبد باللّه، حتىٰ يؤمن برسوله ﷺ. وله من التعظيم الذي هو من لوازم الإيمان ما يقتضي ذٰلك أن لا يكون مثل غيره. وإن كانت أذية المؤمنين عظيمة، وإثمها عظيماً»(١).

وقد أجمع المسلمون من لدن النبي ﷺ علىٰ كفر من سب أو شتم أو تنقَّص النبي ﷺ، بل ألَّف الإمام شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحرّاني كتاباً في شاتم الحبيب ﷺ أسماه: «الصّارم المسلول علىٰ شاتم الرسول» فقال فيه رَحِمَهُ اللهُ: «وقال الإمام إسحاق بن راهويه أحد الأئمة الأعلام: أجمع المسلمون علىٰ أن من سبّ رسول الله ﷺ أو دفع شيئاً مما أنزل الله ﷻ، أو قتل نبيًّا من أنبياء الله ﷻ، أنه كافر بذٰلك وإن كان مقرًّا بكل ما أنزل الله. قال الخطابي: لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله. وقال محمد بن سحنون: أجمع العلماء علىٰ أن شاتم النبيّ ﷺ والمتنقّص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شكّ في كفره وعذابه كفر»(٢).

ولا شك ولا ريب أن الكافر مُبْعَدٌ ومطرود من رحمة الله ﷻ، فقد لعنه الله في كتابه الكريم في مواضع كثيرة منها قول الله ﷻ: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة:٨٨]، ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [البقرة:١٦١]. بل نص الله ﷻ علىٰ لعنته في الدنيا والآخرة للذين يؤذون الله ونبيه ﷺ في الآية الآنفة الذكر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب].

إن الأذيّة للرسول ﷺ كما سبق تشمل كل أذيّة قوليّة أو فعليّة من

(١) «تيسير الكريم الرحمٰن» (٦٧١).
(٢) «الصارم المسلول» (١٥/٢).

سب وشتم، أو تنقص له أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذىٰ في حال حياته أو بعد مماته برسم أو كتابة أو همز ولمز وغمز أو إشارة، وغير ذٰلك من صور الإيذاء والاستخفاف والتنقّص، وليس عنا ببعيد ما خطته يد الشقيّ الدنماركي العنيد. وما نشرته صحف دنماركية كاذبة ظالمة جائرة من رسوم مسيئة لشخصه ﷺ ولدينه بإساءات متعددة منها ما تصف النبي ﷺ بالإرهاب، كيف؟! وقد جاء وصفه ﷺ في الكتاب العزيز: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، إنّ هـٰذا الفعل كذب فاضح وظلم واضح، وقد لعن الله الكذبة والظلمة فقال سبحانه في القرآن الكريم: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود]، والكاذب ظالم كما هو ظاهر من الآية.

ولا غرابة من هٰؤلاء فهم أعداء الأنبياء قديماً وحديثاً، فقد قال الله ﷻ عنهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ٣١﴾ [الفرقان]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ١١٢ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ١١٣﴾ [الأنعام].

ولٰكن الغرابة أن يظهر أناس في الإعلام ينتسبون إلىٰ الإسلام فينتقّصون الدّين أو بعض أحكامه أو القرآن أو النبي عليه الصلاة والسلام بالتصريح أو بالتلميح تأثراً بأفكار غربية أو مناهج غير إسلامية، وبعضهم يفعله استهزاءً وسخرية، فكل هٰؤلاء نذكّرهم بقول الله ﷻ: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ٦٦﴾ [التوبة]، وبقول

النبي ﷺ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ** - وفي رواية مسلم: **أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**»(١)، فلابد لهٰؤلاء أن يوقنوا ويعلموا دون أدنىٰ ظن أن شاتم النبي ﷺ خارج من الإيمان ملعون في القرآن.

وينبغي أن ننبه هنا الآباء والأمهات علىٰ أهمية تحذير الأبناء من الألفاظ التي فيها تنقّص لله أو للرسول ﷺ أو للدين، وأهمية تعليمهم سيرة النبي محمد عليه الصلاة والسلام وجوانب من حياته التي تتجلّىٰ فيها أخلاقه العظيمة كالسماحة والرحمة بالخلق، ويربّوهم علىٰ ما ربّىٰ النبي ﷺ أصحابه الكرام رضوان الله عليهم، فالمدرسة النبوية أعظم مدرسة في التاريخ خرّجت جيلاً ما عرف التاريخ جيلاً مثله، إنه الجيل الذي تربّىٰ علىٰ يد أعظم عظماء التاريخ ومربيهم، تلك الشخصية العظيمة الكريمة الفذّة الفريدة الوحيدة التي كتب الله ﷻ العجز التام علىٰ النساء أن يلدن مثلها، فينبغي علىٰ الآباء والأمهات أن يغرسوا في قلوب أبنائهم محبته ﷺ ومحبة اتِّبَاعِه وطاعته، لأن معرفة المتبوع ومحبته أساس لطاعته واتِّبَاعِه، فكيف يطاع من لا يُعْرَفْ ولا يُحَب، ولا شك أن من صدق في محبته أطاعه واتبعه، واهتدىٰ بهديه، واستن بسنته. ويُنسب للشافعي:

لَوكَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَهُ إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيْعُ

اللَّهم صل علىٰ محمد وأزواجه وذريته كما صليت علىٰ آل إبراهيم، وبارك علىٰ محمد وأزواجه وذريته كما باركت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٤٧٨)، و«صحيح مسلم» (٧٦٧٣)، و«مسند أحمد» (٨٣٩٢).

«وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ»

قرأت ما كتبه كاتب تحت عنوان «عن النفاق» قال: مشكلة بعض المثقفين العرب الذين يتناولون قضايا متصلة بالعقيدة الإسلامية وينطلقون من موقف مضاد للإسلام . . . ، وأورد مثالاً لذٰلك؛ القضية المثارة حول أستاذ جامعي حكمت عليه محكمة بدولة عربية بالسجن بعد إدانته بتهمة تحقير الإسلام، بسبب مقالة انتقاديّة موجّهة إلىٰ شخص النبي محمد ﷺ، فادّعىٰ فشل النبي ﷺ في إقناع وجهاء مكة بالدعوة الإسلامية قبل هجرته إلىٰ المدينة. وتعليقاً علىٰ هٰذا المقال الهادف أقول: إن بعض المثقفين العرب الذين يدّعون العلمانية والليبرالية فشلوا في تقليد أسيادهم في الغرب ولم يستطيعوا أن يقدموا لأوطانهم ما قدّمه أسيادهم لأوطانهم هناك، وتنكروا لدينهم وتراثهم وتاريخهم، وشغلوا أنفسهم بأمور تضرّ ولا تنفع، وتراهم يتخبّطون عندما يتناولون موضوعات تتعلق بالدين والتاريخ والتراث.

إن هٰذا الأستاذ الجامعي إذا كان ينكر علىٰ الداعية العظيم والمصلح الرحيم رسول الله ﷺ أسلوبه في الدعوة، وأنه ﷺ فشل بسبب هٰذا الأسلوب، فهو في الحقيقة إنما يدافع عن أبي جهل وأبي لهب ومشركي مكة، فهو يقول بصريح العبارة: أن رسول الله ﷺ فشل علىٰ الرغم من أنه قضىٰ بينهم ثلاث عشرة سنة لم ينجح فيها، بينما نجح أحد أصحابه عندما ذهب إلىٰ المدينة.

فالمشركون في مكة لم يدخلوا الإسلام في نظر هٰذا الأستاذ الجامعي بسبب الأسلوب الذي اتّبعه محمد نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام معهم، فهم إذن معذورون في عدم استجابتهم له، والنبي ﷺ هو الذي يتحمل

المسؤولية الكبرىٰ: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦]، أليس مثل هٰذا القول في دعوة الإسلام وفي رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام، ونشره علىٰ الطلاب وفي الجرائد مما يعتبر تحدٍّ لمشاعر المسلمين؟ وخاصة حين عنون الأستاذ الجامعي مقاله بـ(حين يحل ظلام التخلف). ومن العجب أنه لم يبين لنا الأسلوب الذي كان يجب أن يتبعه رسول الله ﷺ، فهل عنده وحي بما يجب أن يتبعه رسول الله ﷺ؟ فلماذا لم يوضح الأسلوب الصحيح في نظره حتىٰ لا يفشل من يريد أن يقوم بما قام به رسول الله ﷺ في الدعوة؟ فهل يقترح مثلاً أسلوب لينين الذي عمل من خلال المخابرات الألمانية؟ لماذا لم يسعفه الوحي الشيطاني في طرح الأسلوب الأمثل في الدعوة؟ إنه يتطاول علىٰ عظيم عظماء الدنيا، وأحكم مصلحي التاريخ رسول البشرية ومنقذ الإنسانية، الرحمة المهداة والنعمة المسداة ﷺ. ولك أن تقف مع بعض ما كتبه المنصفين من أعداء الإسلام عن رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام ليتبين الخبيث من الطيّب، ونحن عندما نذكر شهادة هٰؤلاء للرسول ﷺ بالنجاح والعظمة ليس لأنه في حاجة إلىٰ شهادتهم؛ ولٰكن لنثبت المفارقات، وأنهم خير من بعض المحسوبين علىٰ الإسلام والمسلمين، وهم في الحقيقة ذئاب في لباس النعاج، وأعداء في جلود الأصدقاء، قال (تولستوي): «لا ريب أن هٰذا النبي من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة، ويكفيه فخراً أنه فتح طريق الرقيّ والتقدّم، وهٰذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتي قوة وحكمة وعلماً، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال». أما (اللورد هيدلي) فقال: «فكل صفات الصبر والثبات والحلم والصدق كانت ترىٰ في خلال الثلاثة عشرة سنة أثناء جهاده في مكة هٰذا، ولم تتزعزع ثقته بالله تعالىٰ وأتم كل واجباته بشمم وشهامة. كان ﷺ مثابراً في عمله لا يخشىٰ لومة لائم؛ لأنه كان يدرس المسؤولية التي ألقاها الله تعالىٰ علىٰ كاهله»[(١)]

(١) مجلة المنار (٢٩/٣٤٤).

ولولا خشية الإطالة لأوردنا كثيراً من تلك الشهادات التي قالها المنصفون من الغربيين.

إننا نتساءل كيف يُسمح بمثل هٰذا التطاول علىٰ خير البشر في بلد من بلاد الإسلام؟ ولا ندري لماذا يسمح بعض الليبراليين والعلمانيين لأنفسهم أن يتحدّوا مشاعر شعوبهم، ويطعنوا في مقدساتها وشعائرها؟ حيث تظهر علىٰ أقوالهم وتصرفاتهم المغالاة في الإساءة للآخرين، والتعصب لآرائهم، وعدم قبول وجهات النظر الأخرىٰ، بل ويبالغون في الكذب والافتراء علىٰ من يخالفونهم في الرأي، ولا ينقادون لحجة ولا منطق؛ بل يزيّفون الحقائق والتاريخ من أجل دعم وجهات نظرهم، وهم إلىٰ جانب ذٰلك يخونون مسؤولياتهم عندما يكونون في موقع من مواقع التوجيه كالأساتذة في الجامعات المكلفين بتربية الأجيال، وتقديم الحقائق العلمية لهم من غير تزييف أو تأثيرات خارجية.

إن الإنسان يحتار في هٰؤلاء الذين يتقاضون المرتبات الكبيرة فيفسدون عقول أبناء الأمة ويحرفونها عن الطريق المستقيم، ويشكّكون الشباب في ثوابت دينهم ومسلماته بالكذب والافتراء والتضليل. إن العالم الإسلامي منكوب ببعض من تسنموا المناصب في العلوم والثقافة، فنسألك اللّٰهم ربنا أن لا تؤاخذنا بما فعله السفهاء منا.

إن أولٰئك الذين يتطاولون علىٰ الدين ويتعرّضون لجناب النبي ﷺ الشريف، ويطلقون لألسنتهم العنان بالخوض فيما يخرجهم من الدين، لسان حالهم ومقالهم: إننا نطلق من حرية الرأي والفكر والتعبير، فلماذا تنكرون علينا؟ والله في القرآن أعلن حريّة الفكر فقال سبحانه: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩].

إننا نقول لهٰؤلاء: إن قول الله سبحانه: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩] حقٌّ، ولٰكن ليس مراد الله سبحانه منه الحرية والتخيير وإنما الوعيد والتهديد، ولذٰلك كان أول الآية الخطاب للنبي ﷺ وبيان أن ما جاء به هو الحق الذي لا شك فيه ولا ريب، ثم ختم الآية بالتهديد

الشديد والوعيد الأكيد للظالم المنكر لهٰذا الحق الذي بُعِثَ به الرسول ﷺ، قال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف]، ورسولنا وحبيبنا محمد ﷺ وإن استهزئ به، وتنقص منه، وشتم وأوذي ﷺ فإن ربنا تبارك وتعالىٰ قد طيّب نفسه، وسلّىٰ خاطره، وريح باله، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الأنعام]، ويقول سبحانه مبيّناً حكم من اختار الكفر علىٰ الإيمان، والضلال علىٰ الهدىٰ، والباطل علىٰ الحق بدعوىٰ حريّة الفكر والتعبير، يقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة]، ويقول سبحانه: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة]، ويقول جلّ في علاه: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران].

«لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ»

إن الصّراع بين الحقّ والباطل مستمر وسيظل مستمرًّا إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، وتظهر بين الفينة والأخرىٰ حملات مسعورة ضد الإسلام والمسلمين، ومن تلك الحملات ما ظهر في الآونة الأخيرة في بعض البلدان العربية من كتب تتطاول علىٰ الذات الإلٰهية، وشخص النبيّ الكريم والرّسول العظيم ﷺ، وبعض الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ودين الإسلام دين الحنيفية السمحة. ولقد احتج أهل الغيرة من المسلمين علىٰ ذٰلك وأنكروا السّماح ببيع تلك الكتب ونشرها بين أبناء المسلمين لأنّ في نشرها تحدّ لمشاعر الملايين من أبناء المسلمين، واستخفاف بالشعوب الإسلامية في كل أصقاع الدنيا بالتهجم علىٰ معتقداتهم وشعائرهم، ونشر الكفر والإلحاد في المجتمعات الإسلامية.

إن الذي يسمح بنشر الكتب التي تتطاول علىٰ الذات الإلٰهية، وتستهزئ بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام؛ ويسعىٰ في الترويج لنشرها؛ إنما يحارب الله ورسوله، ويسعىٰ في الأرض فساداً، بنشر الكفر والضلال والفسق والفجور، وتحطيم القيم والأخلاق باسم حرية الفكر؟ هل الفكر هو الكفر؟ إن حرية الفكر لا تبرر الكفر وتبيحه، وأولٰئك الذين يسمّون أنفسهم ليبراليين، ويدّعون أنهم إنما يدافعون عن حرية الفكر، ويسمحون لكل من هبّ ودبّ أن يقول ما يشاء في الدّين، فيستهزئ ويسخر ويضلل الناس بأفكار هدّامة وأقوال كاذبة ومزيّفة، وأباطيل مختلقة وخرافات مخترعة، أين هم من قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ

﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦]، إن هٰؤلاء الذين يدافعون عمن يقول الكفر ويفعل الكفر يساوونهم في الحكم، ويشاركونهم في الإثم، فهم في الوزر سواء.

إن أولٰئك الذين يدافعون عن الكفر ومن ينشر الكفر ويروّج للكفر هم أنفسهم الذين كانوا يدافعون عن استبداد الطغاة في الدول الشيوعية، وقد تحول أكثرهم الآن إلىٰ الامبريالية الأمريكية بعد سقوط الأنظمة الشيوعية، وقد كانوا يعتبرون الامبريالية الخطر الأكبر والأعظم علىٰ الشعوب، ولقد كانوا يضللون الناس ويزعمون أن الدين أفيون الشعوب، وأنه يعطي المستبدّين الحق في استغلال العمال، وتبين الآن كذبهم وزيفهم وباطلهم، وأصبحت مبادئهم هي أفيون الشعوب.

أولٰئك الذين يسمون أنفسهم ليبراليين هم في الواقع طغاة مستبدّون وعتاة مفسدون، فماذا ينقمون علىٰ رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام حتىٰ يتعرضوا لجنابه الشريف، وينالوا من مقامه المنيف، وماذا يأخذون علىٰ ما جاء به حبيب القلوب ﷺ حتىٰ يحاربوه؟ إن نبيّنا ﷺ إنما جاء بالإسلام دين الحنيفية السمحة، وهو الذي تطالب به الشعوب، وتهفو إليه القلوب. فهو الذي دعا إلىٰ إخراج البشرية من ظلمات الجهل والتضليل إلىٰ النور المبين والحق المتين، ورفع الظلم عن الإنسانية جمعاء، وتحرّر الشعوب من طغيان الدكتاتوريات وسطو الامبراطوريات. فهٰذه هي دعوة محمّد عليه الصلاة والسلام، فماذا يغيظكم في ذٰلك وأنتم تزعمون أنكم تطالبون برفع الظلم؟ أليست هٰذه منكم أكاذيب وأضاليل وافتراءات؟ إنكم تحقدون علىٰ رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام، وتنقمون علىٰ الإسلام فتسخرون من أحكامه؟ لا شك أنكم كاذبون مفترون، وضالّون مزيّفون، جلّ همّكم أن يقال عنكم أنكم ليبراليّون متحضّرون، وأنتم في الحقيقة صنعة أعداء الإسلام، يجري في عروقكم الربح المادّي، وهو هواؤكم

الذي تتنفسون، لا تهمكم إلا أنفسكم. فحذار أن تكونوا من الطائفة التي قال الله عنها في كتابه العظيم: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وآسفاً علىٰ أبناء المسلمين الذين اندفعوا مع تيّار الكفر والإلحاد ومناصرة أعداء الإسلام، وإنما سموّهم ورفعتهم وعزّهم وسيادتهم في إسلامهم واقتدائهم بالنبي الأعظم والرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام.

كيف تقبل الشعوب الإسلامية ممن يدّعون أنهم أبناؤها أن يشكّكوا في دينها وقيمها؟ أليس التشكيك في الدّين والطّعن في مقدّسات المسلمين وشعائرهم خيانة عظمىٰ؟ لا ريب أن هٰؤلاء المشكّكين، والذين يطعنون في دين الله، ويتطاولون علىٰ الذات الإلٰهية، ويسيئون إلىٰ أعظم عظماء الدنيا رسولنا محمد ﷺ، خونة طغاة، يهيئون الفرصة أمام أعداء الأمة.

فلا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التوبة].

❁ ❁ ❁ ❁

المراجع

١ ـ **القرآن الكريم**.

٢ ـ **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، طبعة دار الوطن ـ الرياض، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م.

٣ ـ **الأدب المفرد**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٤ ـ **تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل**، لأبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، دراسة وتحقيق: علي شيري، طبعة دار الفكر بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٥ ـ **التحرير والتنوير**، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر ـ تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م.

٦ ـ **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٧ ـ **تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان**، لعبد الرحمٰن بن ناصر بن السعدي، المحقق: عبد الرحمٰن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٨ ـ **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٢هـ.

٩ ـ **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية ـ القاهرة، الطبعة الثانية: ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

١٠ ـ **جوامع السيرة وخمس رسائل أخرىٰ**، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي، الظاهري، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار المعارف ـ مصر، الطبعة الأولىٰ: ١٩٠٠م.

١١ ـ **ذخيرة الحفاظ**، لمحمد بن طاهر المقدسي، تحقيق: عبد الرحمٰن الفريوائي، الناشر: دار السلف ـ الرياض، سنة النشر: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٢ ـ **الروض الأنف**، لأبي القاسم عبد الرحمٰن بن الخطيب السهيلي، تحقيق وتعليق وشرح: عبد الرحمٰن الوكيل، الناشر: دار الكتب الإسلامية لصاحبها توفيق عفيفي عامر، الطبعة الأولىٰ: ١٣٧٨هـ ـ ١٩٦٧م.

١٣ ـ **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١٤ ـ **سنن الترمذي**، لأبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٥ ـ **سنن الدارقطني**، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي، تحقيق: عبد الله هاشم يماني المدني، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت: ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

١٦ ـ **السنن الكبرىٰ**، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: مكتبة دار الباز ـ مكة المكرمة: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١٧ ـ **سنن النسائي**، لأبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٨ ـ **السلسلة الصحيحة**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف ـ الرياض.

١٩ ـ **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون**، لعلي بن برهان الدين الحلبي، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت، سنة النشر: ١٤٠٠هـ.

٢٠ ـ **السيرة النبوية**، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الجيل ـ بيروت، سنة النشر: ١٤١١هـ.

٢١ ـ **شرح السنة**، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي ـ دمشق، بيروت، الطبعة: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٢ ـ **شرح مشكل الآثار**، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان ـ بيروت، سنة النشر: ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٣ ـ **شعب الإيمان**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٠هـ.

٢٤ ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ**، لأبي الفضل عياض اليحصبي، مذيلاً بالحاشية المسماة **مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء**، لأحمد بن محمد بن محمد الشمني، دار الفكر، لبنان ـ بيروت: ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٥ ـ **الشمائل المحمدية**، لأبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة الترمذي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٢

٢٦ ـ **صحيح الأدب المفرد**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصدّيق، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢١هـ.

٢٧ ـ **صحيح الترغيب والترهيب**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف ـ الرياض، الطبعة الخامسة.

٢٨ ـ **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، لمحمد ناصر الدين الألباني، أشرف علىٰ طبعه زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة: ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٩ ـ **صحيح مسلم**، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت.

٣٠ ـ **الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول**، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، ومحمد كبير أحمد شودري، الناشر: دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٧هـ.

٣١ ـ **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، لمحمد ناصر الدين الألباني، أشرف علىٰ طبعه زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة: ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٢ ـ **ضعيف سنن الترمذي**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الاسلامي، الطبعة الأولىٰ: ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣٣ ـ **العظماء المائة**، لمايكل هارت، ترجمة: أنيس منصور، طبعة: المكتب المصري الحديث.

٣٤ ـ **فقه السيرة، لمحمد الغزالي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار القلم ـ دمشق، الطبعة السابعة: ١٩٩٨م.**

٣٥ ـ **مجمع الزوائد**، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر: دار الفكر ـ بيروت: ١٤١٢هـ.
٣٦ ـ **محض الصواب في فضائل ابن الخطاب**، ليوسف بن حسن بن عبد الهادي المبرد، المحقق: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
٣٧ ـ **مختصر السيرة**، لمحمد بن عبد الوهاب، تحقيق: عبد العزيز بن محمد الرومي، ومحمد بلتاجي، وسيد حجاب، الناشر: مطابع الرياض، الرياض.
٣٨ ـ **مختصر الشمائل المحمدية**، لأبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي، تحقيق واختصار: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتبة الإسلامية، عمان ـ الأردن.
٣٩ ـ **المسند**، لأبي يعلىٰ أحمد بن علي بن المثنىٰ الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث ـ دمشق، الطبعة الأولىٰ: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٤٠ ـ **المستدرك علىٰ الصحيحين**، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ: ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
٤١ ـ **المسند**، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، الناشر: مؤسسة قرطبة ـ القاهرة، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.
٤٢ ـ **مشكاة المصابيح**، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٤٣ ـ **المعجم الكبير**، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم ـ الموصل، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

❀ ❀ ❀ ❀



الفهرس

❁ ❁ ❁ ❁

التعريف بالمؤلف

- هو القاضي عبد القادر بن محمد العماري.
- من مواليد سنة ١٩٣٥م.
- تلقىٰ العلوم الشرعية والقانونية عن جماعة من العلماء والمتخصصين في الشريعة والقانون.
- درس في كلية الحقوق ـ قسم الشريعة ـ بجامعة الخرطوم، وتخرج منها سنة ١٩٥٧م.
- عمل قاضياً في المحاكم الشرعية في سنة ١٩٦٩م بدولة قطر، وتدرج بالمناصب إلىٰ أن وصل إلىٰ نائب رئيس محكمة الاستئناف بالمحاكم الشرعية، وأمضىٰ أكثر من ثلاثة عقود في القضاء الشرعي بقطر.
- شارك في مجموعة من المؤتمرات والمجامع الفقهية ومنها مجمع الفقه الإسلامي بجدة التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي.
- يحمل عضوية في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
- يشغل عضواً في هيئة الرقابة الشرعية بمصرف قطر الإسلامي، وبنك قطر الدولي الإسلامي.
- له عدة مقالات نشرت في الجرائد القطرية، ومجموعة من الجرائد والمجلات العربية.

له مجموعةٌ من المؤلفات المطبوعة:

١ ـ **حوادث السير** (بحث قدمه في الدورة الثامنة لمجلس مجمع الفقه الإسلامي، قامت بطباعته جمعية قطر الخيرية. طبعة مطابع الدوحة الحديثة المحدودة).

٢ ـ **وسقطت الماركسية** (طبعة دار الثقافة ـ الدوحة. الطبعة الأولىٰ: ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٣ ـ **وأحل الله البيع وحرم الربا** (بحوث في قضايا مصرفية، قام بطباعته بنك قطر الدولي الإسلامي. طبعة مطابع الدوحة الحديثة المحدودة: ٢٠٠٥م).

٤ ـ **الحق الإنساني والعنف الدولي** (بحث قدمه في الدورة الرابعة عشرة: ١١/١/ ٢٠٠٣ ـ ١٦/١/٢٠٠٣م لمجلس مجمع الفقه الإسلامي، طبعته جمعية الهلال الأحمر القطري، ضمن سلسلة: نحو ثقافة إنسانية: ٥. الطبعة الأولىٰ).

٥ ـ **لن يصلح أمر هٰذه الأمة إلا بما صلح به أولها** (طبعة مطابع قطر الوطنية).

٦ ـ **بيع الوفاء والتورق والعينة** (قام بطباعته مصرف قطر الإسلامي. طبعة مطابع الدوحة الحديثة المحدودة).

٧ ـ **من أجل الإسلام** (ردود علىٰ كتابات عدد من المؤلفين والكتَّاب. الناشر: دار الضياء ـ الأردن ـ عمَّان).

٨ ـ **منحة الرحمٰن في شهر رمضان** (طبعة دار البشائر الإسلامية ـ لبنان ـ بيروت. الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م).

٩ ـ **المفيد في الزواج السعيد** (طبعة دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م).

١٠ ـ **تأمّلات قرآنية** (طبعة دار الثقافة، الدوحة ـ قطر، إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

١١ ـ **شقائق الرجال** (طبعة دار الثقافة، الدوحة ـ قطر، إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

١٢ ـ **الإسلام دين الحنيفية السمحة** (إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

١٣ ـ **شخصيات مضيئة، علماء.. دعاة.. أصدقاء** (إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

١٤ ـ **عندما يدمر الإنسان نفسه، الخمر.. المخدرات.. الدخان** (إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

١٥ ـ **فتاوىٰ المسلم المعاصر** (إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

١٦ ـ **فلسطين بين الحق المغصوب والحل المطلوب** (إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

١٧ ـ **رسالة القضاء في الإسلام** (إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

١٨ ـ **قضايا مالية معاصرة** (إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

١٩ ـ **إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ** (إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

طُبِع بإشراف
المكتب الإسلامي
بيروت: ص.ب: ١١/٣٧٧١
هاتف: ٤٥٦٢٨٠ (٠٠٩٦١٥)
Web Site: www.almaktab-alislami.com
E-Mail: islamic_of@almaktab-alislami.com